الكتاب (١)

هاينة وابريس

صلاح الدين نفتاحي

الطبعة الأولى : 2018

رواية

كتاب

صلاح الدين نفتاحي

عنوان الكتاب: **لكـتــاب**

تــأليـف: **صلاح الدين نفتاحي**

تصميم الغلاف: **زهرة الكرعاي**

الإيداع القانوني: **2018MO**

ردمك: **978-9920**

مطبعة وراقة بلال ش.م.م
IMPRIMERIE PAPETERIE BILAL
S.A.R.L

IMPRIMERIE PAPETERIE

N°100 Av. Sidi slimane Rue Al Madina Al mounawara
Hay Al Amal, Narjiss FES
Tél/Fax: 05 35 61 86 03 - GSM: 06 61 68 70 55
Imp.bilal@gmail.com - www.imp-bilal.com

جميع الحقوق محفوظة وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر أي نسخة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأي وسيلة كانت سمعية أم بصرية دون إذن موقع من الناشر يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

الطبعة الأولى ـــــ **2018** ـــــ المملكة المغربية

صباح شمس رع المشرقة على أعين القراء

صباح موسيقى أبولو وموریاته على من يراقص الكلمات

صباح حب أفروديت على عشاق رائحة الورق

أما بعد:

"كان يا ما كان، في غابر الزمان والمكان ..." جملة تتحدى بوقعها كل الأبعاد الزمكانية بين رغبات لاشعورية وأماني مكبوتة بداخلنا ... كما يعرفها العالم النفسي فرويد ...

شروق الشمس، اكتمال القمر، نزول المطر، انتشار الأمراض، الموت وكل الظواهر الدنيوية لم تسلم من أيدي تفسيرات البشر الأولون لها، فالإنسان خلق لسبب، وعفوية خلقه جعلته يؤمن أن لكل شيء سبب، فكانت هذه العفوية بمثابة الرحم الأم لما يسمى بالأسطورة أو الميثولوجيا ...

كلمتان بدأتا مرحلة نشأتهما رفقة فلاسفة وعلماء اليونان، مفسرة لهم جل الظواهر الغير مألوفة، تحكي قصصا مقدسة تبرز ظواهر الطبيعة مثلا أو نشوء الكون أو خلق الإنسان وغير ذلك من الموضوعات التي يتناولها الواقع ...

كلمتان تطورتا لتجتاحا العالم بأكمله، فأصبح لكل شعب أساطيره المحلية ــ كروبن هود الانجليزي وبوجلود المغربي ــ وأساطير قومية ــ مثل الآلهة وقصص الرعب التي من الممكن أن تنتقل من بلد لآخر

ومنه تشكل الموروث الثقافي المغربي الذي يزخر بالحكايات والحجايات التي اجتاحت عقول الكبار، وأصبحت بمثابة منوم للصغار ترويها الجدات في ليالي السمر قبل النوم ...

لكن بتعاقب الأزمان، وظهور التكنولوجيا الحديثة، اندثرت هذه القصص والروايات الشفوية عن الوجود، وتلاشت بين تجاعيد ذكريات أجدادنا ...

هكذا، هذان المفردان: الأسطورة والميثولوجيا، كانتا توأمتا حظي لغزو عالم الفن، من الرواية إلى السيناريو ثم إلى القصص القصيرة ...

وها أنا أحبو حبوي الأول، رفقة شابة كانت حبيسة هذا العالم ــ عالم القصص ــ شابة زارت عالم أحلامي لترجوني أن أنقذها وأحررها من بطش ابريس، فما كان مني إلا أن أتلو صلواتي إلى ميوزات الإيحاء ــ آلهة الإلهام ــ لتشبع إلهامي، وتدب روح الخيال الخصب بحروفي ...

من هي هذه الشابة؟ ومن هو ابريس؟ وما العلاقة بينهما؟

أترككم أعزاءي القراء مع أول رواية لي في جزئها الأول، لتكشفوا بأنفسكم عن خباياها، وعما تحمله الأسطورة المغربية بشكل خاص من أسرار، وتتميز به من خصوصية، وتتعرفوا على قصص أجدادنا المتنوعة في عالم يدب بالإثارة والغموض، وبقالب سردي حديث، أساطير وخرافات وعجائب من عمق الخيال المغربي جعلت شخصياتها تأثث فضاء الأحداث لتغوص بكم داخل موروثنا الشعبي القديم، وتعيدكم إلى أحضان الجدات وحكاياتهم قبل النوم ...

والآن عزيزي/عزيزتي القارئ(ة) أترككم مع "لكتاب" وتحت رعاية سيد الشر "ابريس"

إهـــــــداء

ما هذا الضوء الذي ظهر فجأة من العدم؟ ما هذه الرياح العاتية؟ أيمكن أن ...؟ إنها بوابة الخروج، انظروا إلى الوحوش، كلهم يتهافتون نحوها، فرحين مستمتعين، آآه، كم انتظرت هذه اللحظة، اللحظة التي أخرج فيها من هذا العالم البئيس إلى الواقع

اسمي هاينة، عمري ستة عشر سنة، وأنا الآن أكلمكم أعزاءي/عزيزاتي القراء والقارئات باسم كل شخصيات الرواية التي بين أيديكم، لأتمنى لكم قراءة ممتعة ومشوقة ...

بادئا ببدء دعوني أحكي لكم قصتي قبل أن تلجوا أعماق أحداث الرواية، رغم أنني فقدت معظم ذكرياتي بسبب طول إقامتي بهذا المكان المقفر الخالي من الحياة، لا أتذكر سوى أنني كنت أجمل فتاة في العهد الذي كنت أعيش به في عالم الواقع، نعم، أنا شخصية واقعية، لحم ودم، شعر أسود طويل، عينان سوداويتان، ثغر صغير بلون الدم، خدود موردة، ووجه ناصع بياضه كالشمس في يوم اعتدالها، وما ميزني عن كل بنات قبيلتي، شامتي الظاهرة على خدي التي نسب إليها اسمي "هاينه" ومعناه صاحبة الشامة ... وما أدخلني إلى هذا العالم ...

اممم لن أقول سأترككم تكتشفون السبب بأنفسكم وسط طيات هذه الرواية المتواضعة، الآن أريد فقط أن أتقدم بالشكر إلى من اشتق من الصلاح اسمه لأنه بعثني إلى الحياة من جديد، ولأنه أخرجني ورفاقي إلى عالم الواقع، بعد أن كاد يقضي على ملامحنا الزمن وينسفنا الدهر نحو العدم ...

ثم أهدي هذا الكتاب إلى كل فرد ساعده على إظهاري، إلى والديه اللذان كان لهما الفضل في أن رأى ورأيت معه النور

إلى كل من حاول إفشاله، إلى كل من سخر من "لكتاب" في مرحلته الجنينية لأن ذلك لم يزده إلا عزيمة وإرادة في إنجابه، إلى كل المقتنعين بأن الحياة ليست سوى قسم فمكتب فأسرة صغيرة.

إلى فلذات كبده ونوره في هذه الحياة منار وصوفيا

إلى كل من ساعده في دعم هذه الرواية وفتح ذراعيه محتضنا موهبته بحب: شيماء عباد، زهرة ڭرڭاعي، جهاد آجعيط، نهاد رامي، نور الإيمان نضيف

إلى كل أصدقائه وأقربائه: أسماء، زهيرة، مهدي، آدم، هناء، وفاء، محمد، أيمن، محمد أمين، إيمان، خديجة، الهام، جهاد وباقي الأصدقاء الواقعيين منهم والفايسبوكيين

إلى جمعية رواد الخير للتضامن الاجتماعي وأفرادها

إلى المجموعة الفايسبوكية: "عالم المعرفة Chishiki no sekai" خصوصا الأستاذ: أسامة بن أوحود، والكاتب الروائي "Exele Alexander" ثم المشاكس سعد غزال

وأخيرا وليس آخرا إلى سر سعادته في هذه الدنيا، الأصدقاء الروحيين: العظيم ياسين مومن، الغامض أسامة العطار والفنان زكريا موفق ثم الشقية إيمان قيرو ...

إلى الذين لم يشتروا هذا الكتاب لأنهم لا يملكون ثمنه ثم إلى كل من وقعت عيناه على هذا الإهداء...

الـــــفـــــهـــــرس:

الحلقة الأولى: موعد مع المجهول

الحلقة الثانية: رجوع إلى نقطة الصفر

الحلقة الثالثة: رحلة نحو اللامكان

الحلقة الرابعة: بداية المعركة

الحلقة الخامسة: سكران أو حاضي حوايجو

الحلقة السادسة: كتاب شالة

الحلقة السابعة: أميرة جميلة أم عجوز شمطاء

الحلقة الثامنة: وصلات الخبار

الحلقة التاسعة: مملكة التمار

الحلقة العاشرة: ليلة في مسرح جريمة

الحلقة الحادي عشر: مبيت مجاني

الحلقة الثانية عشر: عملية إنقاذ

الحلقة الثالثة عشر: مزاح مؤلم

الحلقة الرابعة عشر: وصول إلى الحقيقة

الحلقة الخامسة عشر: أنفاسي الأخيرة

الحلقة السادسة عشر: إيجابي أكثر من اللازم

الحلقة السابعة عشر: صدفة غير منتظرة

الحلقة الثامنة عشر: فقدان عزيز

الحلقة التاسعة عشر: رسالة الموت

الحلقة العشرون: اعتراف ميت

الحلقة الحادية والعشرون: لقاء الشر الأعظم

الحلقة الثانية والعشرون: غدر ابريس

الحلقة الثالثة وعشرون: رفيق جديد

الحلقة الرابعة وعشرون: حياة بعد الموت

الحلقة الأولى: موعد مع المجهول

كان حتي كان، كان الله في كل مكان، وكان الحبق والسوسان في حجر ولدي عدنان...
كانوا الناس يعيشوا في امان ولحطبوا الحطب لدوايز الزمان... لهاذو سبع بنات
رسلولهم عايلاتهم لحطبوا الحطب وكانت بينهم وحدة زينة اسمها لهاينة ...

قصة ألفت سماعها منذ نعومة أظافري، قصة كانت الرابط الوحيد مع أغلى إنسانة في حياتي، إنسانة تكبدت عناء وضعي وتربيتي دون مقابل، إنسانة لم تكف عن العطاء حتى وهي على فراش الموت...

أدعى عدنان المسكاوي، مع أن عمري 18 سنة فإني أكن حبا كبيرا لهذه القصة، أكثر من أي شيء في حياتي، تخرجت من كتاب قريتي في ربيعي 14، كتاب قرية الكامونى المعروفة بكثرة حضائرها؛ ونحن ــ أبا عن جد ــ عمال لدى أحد أصحاب هذه الحضائر، مررت بطفولة عادية كأي قروي، لكن هذا الشريط الذي سمعتموه كان السبب المفاجئ الذي حرك الركود الحاصل في حياتي.

... بينما البنات تيجمعوا الحطب كل وحدة فيهم لقات حاجة، وحدة لقات دبليج ...
وحدة لقات خاتم ... وحدة لقات مشط ووحدة لقات عقد ... ولهاينة ... لهاينة لقات
مشهاب «قطيب»!!

جمعوا البنات الحطب في رزبهات وكل وحدة حملات الرزمة ديالها على كتافها وشدوا الطريق راجعين لبيوتهم، ولكن لهاينة كانت فكل خطوة كتمشيها كتحل ليها رزمة الحطب ويرجعوا البنات باش يعاونوها في حزبها ويكملوا الطريق، وكانت الرزمة كتحل من جديد ويعاونوها حتي قربات الشمس تغيب. ولهنا البنات خافوا على راسهم

وكملوا طريقهم بلا مايتلافتوا لهاينة ... وهي مازال مشغولة مع الرزمة جات ريح قوية، كان ورالها ليهاعمرها تسناتو!!... كان ورالها عمي الغول ...

في طفولتي، عهدت سماع قصة الفتاة هاينة ومغامراتها مع عمي الغول من ثغر أمي، وكان أعذب صوت أسمعه قبل النوم، لدرجة أنني حرصت على تسجيله في شريط صوتي، هكذا أصبح هذا الشريط هو ما يربطني بأمي وذكرياتي معها، لكن، إدماني على ذا التسجيل قادني إلى ...

... عاونها في عقد الرزمة و حط الهشهاب في العقدة و قال ليها: نهار تجي الشتا و الريح و النفانف و نقول ليك آهاينة مدي الهشهاب، مديه ليا ...

رجعات هاينة مرعوبة وباكية للدار، سولاتها مها: مالك آبنتي ؟؟ وحكات للي وقع ليها مع عمي الغول ... ولكن مها طهناتها وقالت ليها: ما عاندك مناش تخافي، حايرة غير فيه!!

دازت ايام وليالي ... وفيوم كانت فيه الريح قوية والنفانف ‹صفير الرياح عبر الابواب والنوافذ...› والشتا خيط من السما، جا عمي الغول كيف وعد هاينة، وقال ليها: وآ هاينة مدي الهشهاب ...

جعلت من قصة الشريط عالما آخر أعيش فيه، فأصبحت هاينة محبوبتي وعمي الغول عدوي، وأصبحت أعيش في مخيلتي معاركي مع عمي الغول لإنقاذ هاينة، وأتخيلني حاملا هاينة على كتفي للزواج بها، لكن كل هذا لا يغدو أن يكون أماني وأحلاما مستحيلة التحقق. لذا كنت أكتفي بالهروب إلى الخيال فقط إلى أن...

في أحد الأيام وبسبب مرضي الشديد اضطر أبي إلى تركي لوحدي بالمنزل بعد أن عودني على أخذي معه إلى كل مكان يذهب له، لم يسبق له وأن تركني قط وحيدا بعد وفاة أمي، ولم أكن أعلم حقيقة دافعه لفعل هذا، كل ما كنت أعرفه أنه يصحبني معه أينما حل وارتحل، لكن كان يوم مرضي استثناء، وكعادته، قبل خروجه إلى عمله حذرني من ولوج غرفة جدي، التي لم يسبق لأحد منا أن ولجها إلا جدتي والتي أغلقتها هي الأخرى قبل وفاتها، وأوصت بالابتعاد عنها أيضا.

زادت حدة المرض، مما جعلني أستخدم الحمام مرات كثيرة متتالية، وفي إحدى تلك المرات:

ـــ "عدنان، وآعدناآن ... عدناآن.. " سمعت صوتا قادما من غرفة جدي يناديني، حسبت نفسي أتخيل، لكن في طريقي إلى غرفتي دق نفس الصوت أذناي "عدناآن...عدنان..." ارتعبت في بادئ الأمر "عدنان، وآ عدنان ... دخل ما تخافش" لكني وجدت نفسي مستسلما لأوامره ووجدتني ألج الغرفة المحظورة دون تفكير، سألت بصوت يرتجف خوفا: "شكون نتا؟ أو شنو باغي؟ فينك؟ ...؟؟؟"

ـــ"غير دخل ماتخافش، غير دخل باغي آنعاونك"...

ـــ "أو فاش باغي تعاوني؟؟ فاش ...؟" سألته خائفا فكان جوابه صادما، الجواب الذي تمنيت سماعه منذ وفاة والدتي:

ـــ "أنا هنا باش نجيب ليك ... هاينة ..."

ـــ "آه هاينة!! كيفاش؟ شكون قاليك أنا باغي هاينة؟ أو زيدون كيغادير ليها ...؟" كان الكلام يخرج من فاهي وأنا أرتجف، لكن كلامه كان أقرب إلى وسوسة شيطان إذ كان يخاطب مشاعري وعاطفتي الهشة لا عقلي، كأنه يريد أن يجعلني خاضعا له بأي طريقة كانت:

ـــ "شكون قالها ليا؟ كيفاش عرفتها؟ كنظن ماكيهمش الجواب هنا كثر ماكيهم أني نقدر نعونك باش تجيب هاينة" هكذا كان الصوت الخافت يأمرني وأنا أنفذ دون إعادة تفكير، وبهدوء:

ـــ "حل الماريو!! شفتي داك الصندوق الحمر؟ جبدوا ..." أخذت الصندوق وضعته على السرير بصعوبة لأنه كان ثقيل الوزن، فتحته فإذا بي أتفاجأ بتنوع محتوياته، حناء، تحميرة (فلفل مطحون) وملح ... سيوف، خناجر ومسدسات ... طلاسيم، حجابات (طلاسيم بلغات غريبة) وغيرها، ما هذا وما ذاك؟؟ أسئلة كثيرة بدأت تتبادر إلى ذهني، وكان الجواب فوريا من الغريب:

ـــ "ما تفكرش فداكشي، حيت تاحاجا هنايا ماكاتهم، ليكيهم هنا هو ذاك الكتاب" وكان آخر ما ألمحه هو هذا الأخير، كتاب يعلو غلافه الغبار وتبدو على أوراقه علامات القدم، أخذته وفتحته لأشبع فضولي، صمت طويل انتابني عند فتحي للكتاب، كل صفحة منه تحتوي صورة لوحش أو مسخ غريب، تساءلت في قرارة نفسي عن سر هذه الرسومات الغريبة؟ وإلى من تعود؟ وما علاقة جدي بالكتاب؟ هكذا إلى أن لفتت انتباهي الصفحة ما قبل الأخيرة لأنها لم تكن تضم وحوشا كسابقاتها:

ـــ "كنظن فهمتيني دابا!!..." قاطعني الصوت مؤكدا شكوكي، كانت فتاة جميلة جذبني إليها حسنها ولو كان على ورق، جعلت قلبي يفتن عند رؤيتها، هي المواصفات نفسها التي اعتدت سماعها من شفتي أمي، عيون سوداء واسعة، شعر منساب إلى أسفل خصرها، وجه ملائكي يشع نورا، وملابس تقليدية تعود لزمن أجدادنا الغابر ... ببساطة، إنها سجينة عمي الغول، محبوبتي من عالم الخيال "هاينة" ...

كانت تتوسط الصورة كأميرة مدللة، تضاربت الأفكار داخل جمجمتي الصغيرة، كيف أتت صورة هاينة إلى كتاب جدي؟ أيعقل أنها كانت على معرفة به؟ ومن هو صاحب الصوت الذي خاطبني؟ كل هذه الأسئلة كانت تجوب ذهني وقتها، لكن جمالها كان سببا في تجاهلي لكل ما قد يشغلني عنه...

ـــ "هاد لبيت عامرك دخل ليه، راك إيلا دخلتي ليه ما تلوم آراسك" لم يوقظني من هذه الدوامة إلا تذكر صوت أمي ووصيتها بعدم اقترابي من الغرفة، رميت الكتاب وتراجعت بسرعة لكن ما إن عزمت على مغادرة الغرفة حتى ناداني الصوت من جديد بعد أن غير لكنته من صوت طيب ونصوح إلى صوت شيطاني يريد أن يلتهمني بدويه:

ـــ "قلت ليك هز الكتاآآب أو خرج" ارتعبت من طريقته لكنه عاد إلى نبرته الأولى وخاطبني بحنان:

ـــ "هاهيا هاينة قدامك دابا، ما عليك اتدير بهضرتي، أو غادا تولي بين يديك.." استمر في كلامه المعسول، وأنا أفكر في حلمي بلقاء هاينة، عندها تذكرت صوت أمي وهي تروي قصتها:

... كيف سمعاتو هاينة ترهبات وترعبات وقالت ليها: ناري يا ميمتي والغول جا اشنو ندير؟ قالت ليها أمها: قولي ليه تهدو ليك مي.

جاوبات هاينة الغول: تهدو ليك مي! قاليها: يعطيك الغمة لا نتي ولا هي ...

وآهاينة مدي الهشهاب.

جاوباتو: تهدو ليك ختي! قاليها: يعطيك الخوا لا نتي ولا هي...

وآهاينة مدي الهشهاب.

جاوباتو: تهدو ليك خالتي! قاليها: يعطيك الخلا لا نتي ولا هي ...

وآهاينة مدي الهشهاب.

جاوباتو: تهدو ليك عمتي! قاليها: يعطيك العمى لا نتي ولا هي ...

وآهاينة مدي الهشهاب.

وفكرت أم هاينة وقالت ليها: آبنتي ركبي على ظهر الخادم وتغطاي ومدي ليه الهشهاب.. والغول ما يقدرش يخطف الخادم ...

وهاذ الشي اللي كان ركبت هاينة على ظهر الخادم وعطاتو الهشهاب ولكن الغول كان ذكي وما دارتهاش بيه الحيلة، خذا الهشهاب وغرسو في عين الخادم وخطف هاينة من ظهرها ومشا ... الخادم مسكينة ما بيدها حيلة رجعات لعندهم تبكي وتنوح وتقول: لالة مشات، عيني عمات... لالة مشات، عيني عمات... لالة مشات، عيني عمات ...

تذكرت أن أمنياتي يمكن أن تتحقق إن نفذت كلام الغريب بجانبي،
هكذا دون إعادة تفكير، حملت الكتاب بين يدي و...

الحلقة الثانية: رجوع إلى نقطة الصفر

بعد يوم متعب من العمل في الحظيرة، كان لابد لأبي أن يأخذ حماما دافئا وينام قليلا قبل أن يلتقي بأصدقائه كعادته، كان من النوع الذي يحب عائلته أكثر من أي شيء، لكن خسارته المضاعفة عند وفاة جدتي ثم أمي كانت سببا في تردي نفسيته، فأصبح المنزل مكان أكل ونوم بالنسبة له فقط، وذلك بسبب أن كل زاوية تذكره بغاليتيه، وبذلك يكون قد أصبح من العزاب الذين يقضون لياليهم في السمر والسهر.

كعادته ولج المطبخ ليضع ما أعطاه السيد من (باروك) اليوم، نزع ملابسه عنه، توجه إلى المرحاض، كانت غرفة جدي مغلقة عندها، لذا فإنه لم ينتبه لأي ولوج أو خروج منها:

ـــ "فينهوا عدنان؟ كوراه ناعس ... راه مريض مسكين" تساءل عن مكاني وهو لا يعلم ما فعلته في غيابه، كان يظن أنني طريح الفراش لشدة المرض، هكذا لما خرج من الحمام وهو يفكر في عشاءنا الليلة انتبه لشيء لا منطقي فوق الأرضية، خطوات أقدام غير مكتملة نحو باب غرفة جدي، اقترب ليتأكد وهنا ما إن اتكأ بيده على الباب، حتى فتح هذا الأخير وسقط داخل الغرفة، دهش مما رآه أمامه، وزادت دهشته عندما رأى خطواتي داخل الغرفة من جهة، والصندوق المفتوح من جهة أخرى، هكذا دون تراجع:

ـــ "عدناااااااا.....اااان" صرخ بكل قوته وهو يهرول نحو غرفتي...

... هاينة كانت مخطوبة لولد عمها اللي مشا للحركة، منين رجع مالقاهاش وسول عليها مها ومو فين مشات؟ وجاوباتو مها: ماتت... وطلب منهم انهم ينعتو لو قبرها، ونعتو لو قبر مجهول ما معروفين ناسو. بنى عليه الحبيب خيمتو، تا ماكلتو وتا شرابو ونعاسو...

دازت ليام وليالي وفالليلة التالتة جاتو امرا كبيرة فالسن ما عرفها واش انس ولا جن خاطباتو بالكلام المفهوم: وآ المقيل علاش مقيل تا؟ راك مقيل على خزنة «كنز مدفون» اما هاينة خداها عمك الغول ...

دخل شك في ولد عمها ما بقى جاه نعاسو... والتفكير في كلام الشارفة نعرس ليه راسو ... وهو يرجع لدارهم. كيف شافتو اليهة جاي على سرجو بدات تزغرت وتقول سعدي بوليدي رجع ليا ... دخل للدار وطلب منها تطيب ليه بركوكش تعطيها ليه في زلافة طايب سخون... ومن فرحة مو برجوعو ما رفضت ليه طلب وجابت ليه بركوكش سخون يفور... شد يد ميتو وحطها وسط الزلافة الطايبة وقال ليها: دابا قولي لي فين هاينة؟ ؛ جاوباتو مو: آطلق مني آوليدي راني تحرقت ونقول ليك فين مشات هاينة الله يرضي عليك ... وحكات ليه قصة الغول واللي وقع ...

كنت في الوقت الذي علم أبي أنني حملت الكتاب، متجها لتنفيذ أوامر الغريب المجهول، فرغم ترددي وحيرتي لأن هاينة مخطوبة لابن عمها، ورغم تشكيكي في منطقية ما يحدث إلا أنني وجدت نفسي أتحرك دون هواي، فقد كانت رغبتي في رؤية هاينة تفوق الإرادات جميعها، حملت إحدى الخناجر داخل الصندوق، حناء ثم وضعتهما والكتاب في محفظة منطلقا نحو هدفي، مشبعا بالحماس الذي طوى المسافات رغم طولها..

... سرج الحبيب جوادو وجهز عتادو، وخذا معاه قفة من الملح، قفة من السكاكن، قفة من المخايط وقفة من البراوات ... وشد طريقو.

وصل لكدية الكحلة وقال: آلكدية مالك تكحالي وتزيدي في الكحولية؟ جاوباتو: بالسيف آولدي ما نكحال ونزيد في الكحولية وهاينة دازت عليا ....

وصل لكدية الزرقا وقال: آلكدية مالك تزراقي وتزيدي في الزروقية؟ جاوباتو: بالسيف ما نزراق ونزيد في الزروقية وهاينة دازت عليا ...

وصل لكدية الصفرا وقال: آلكدية مالك تصفاري وتزيدي في الصفورية؟ جاوباتو: بالسيف ما نصفار ونزيد في الصفورية وهاينة دازت عليا ...

بقا ولد عمها على هالو هتي وصل للكدية البيضا وقال: آالكدية مالك تبياضي وتزيدي في البيوضية؟ جاوباتو: بالسيف ما نبياض ونزيد في البيوضية وهاينة ساكنة فيا!! ...

ساعدتني ذكريات أمي على التقدم إلى الأمام، فكنت أتخذ من شجاعة ابن عم هاينة حافزا في تقدمي نحو تحقيق حلمي بعد أن ظننته مستحيلا، وصلت إلى مقصدي بمدينة الرباط، توجهت نحو البوابة لأدخل القلعة، ولجت ودون سابق إنذار وجدت نفسي منبهرا بجمالها من الداخل، جنة على الأرض، جداول مياه عذبة تصب في بحيرات عديدة، زهور متفتحة ومنتشرة على طول مساحة الفضاء الشاسعة، بنايات قديمة تشهد على تعدد الحضارات التي مرت على المكان، وجدت نفسي محاطا بجمال قلعة شالة والتي كان وصولي إليها هدف الغريب، المستفيد الأول من هذه الرحلة، ومع كل هذا لم أعر اهتماما لأي شيء سوى تنفيذ الطقوس.

نزلت إلى بحيرة قلعة شالة، أو كما يسمونها هنا حوض النون، وكان مشهورا بكونه يحقق الأمنيات بفضل الجنيات التي تظهر فيه بعد منتصف الليل ـــ رغم أنني لا أصدق هذه الخرافات ـــ

سكبت القليل من الماء بعد أن وضعت به قليلا من الحناء، حركتهما ثم صعدت إلى عمود، وضعت عليه الكتاب وبجانبه الإناء، وضعت يدي اليسرى بالحناء حتى امتلأ كفي، هكذا بدأت الطقوس التي أمرني بها الصوت...

ـــ "عدنان ... والمسخوط؟؟ فينك ؟؟" في هذه الأثناء كان أبي يبحث عني في كل مكان داخل المنزل، يتمنى ألا أكون قد فعلت ما فعلت، و لما فهم أخيرا أنني خارج المنزل، ولج غرفته، ارتدى بسرعة وهو يسب ويشتم لأنني لم أكن مطيعا، توجه إلى غرفة جدي، أخذ من الصندوق صفارة، صفر بها، وأخذ أوراقا وحبرا من الصندوق ثم بدأ يكتب على إحداها، وما كاد ينتهي من الكتابة حتى دخل غراب من النافذة تلبية لنداء الصفارة، ربط به أبي الورقة همس له ببعض الكلمات ثم حرره، في تلك الأثناء بدأ في البحث عن الحناء، لم يجدها داخل الصندوق فحمل غمدا ثقيلا وخبأه، توجه إلى جراره، ثم انطلق مسرعا نحوي ....

ـــ "أَفيتيد أَفيتيد أيبريس أَشوشَخ أَغَنجاَ نرَفيس ... أَفيتيد أَفيتيد أيبريس أَشوشَخ أَغَنجاَ نرَفيس ..." كلمات كنت أرددها دون معرفة معناها، كلمات كانت حسب الغريب مفتاحا لخروج هاينة من عالم الكتاب، أمسكت الخنجر وجرحت كفي لأنفذ الطقوس المأمور بها، هكذا انسكب الدم والحناء على صورة هاينة فوق الكتاب، لم يحدث شيء في البداية لكن مع تكرار الكلمات ومع امتزاج الدم والحناء فوق صورة هاينة بدأت أحس بهبيب خفيف، هكذا اختفى إحساسي بالغريب، تزامن ذلك مع ارتجاج خفيف للأرض، رياح تم ضوء شديد من وسط البحيرة، كانت قوة الرياح

والضوء تزداد كلما رفعت من صوتي أكثر، هول المنظر أرعبني لكن جسدي لم يتوقف عن ترديد الكلمات وعن سكب الدماء الممزوجة بالحناء فوق الكتاب، لكن حدث ما لم يخطر على البال، قوة الرياح جعلت صفحات الكتاب تتقلب تحت المزيج المنسكب من كفي، مما جعل الضوء يزداد انتشارا وسط البحيرة، ارتعبت كثيرا من المنظر فتراجعت للوراء لأن الهالة الضوئية كادت تمتصني أنا الآخر، انهار العمود الذي يحمل الكتاب و الإناء فسقط الاثنان وسط البحيرة.

ـــ "البرهووش شنو درتيبي...؟؟؟" في تلك الأثناء دخل أبي مهرولا إلي، شدني من قميصي وجرني صارخا، لكنه سرعان ما نسي وجودي وولج داخله، بدأت أحس بقبح ما فعلت، وهول ما تسببت فيه، وبالرغم من جهلي بتفاصيل ما يدور حولي إلا أنه لا يبشر بخير، هذا جعلني أحاول ملاحقة أبي لجره من الضوء، لكن ...

فاجأني انبعاث وجه جديد من الضوء، وجه أنساني ما كنت عازما على فعله، وجه جماله خطفني من وعيي، أنساني المصيبة التي أوقعت بها أبي، كانت هدفي منذ سماعي للصوت للمرة الأولى، وها أنا أمامها أستطيع لمسها دون حواجز، أستطيع سماعها لا السماع عنها، خرجت وهي تحمل نفس الصفات التي عهدت سماعها من أمي، خرجت محبوبة قلبي ورابطي بعالم الخيال ... هاينة.

كان وقع رؤيتها علي كالمخدر تماما، أنساني المصيبة التي أوقعت بها أبي الذي لازال يحاول الوصول إلى الكتاب لكن الطاقة المحيطة به كانت تحول بينه وبين ذلك، هكذا ما إن استطاع

الإمساك به حتى ظهر ما خشيه، مخلوق غريب ذو فقرات ضخمة ممتدة على ظهره وكأنها سلاسل من الجبال، وضع أصابعه فوق الكتاب، بدأ أبي يتصبب عرقا، صمت خوفا من الوحش الذي ظهر أمامه، حاول الهروب، لكن الوحش باغته وحمله على غفلة منه بين براثنه...

ـــ "خوووود هآاينة أو هرب ... عدنان خود هآآينة وهرب" لم آبه به ولا بصراخه، فلم أسمع جل ما قاله بسبب ذهولي أمام جمال هذه الأخيرة، والتي بدورها كانت تحدق بي كأنها مندهشة من دهشتي، أو كأنما حققت حلما مستحيلا كالذي حققت، هكذا وكعادتي لم أفعل ما قاله أبي ولم أستوعبه إلى أن خرجت يد من الضوء أضخم من هاينة، وأحاطت بها مرددة بنفس الصوت الخشن الذي صرخ علي في الغرفة:

ـــ "آجي نتي، مازآل ماسالينا" أمسك بها وسحبها معه داخل الضوء وأنا ما زلت ثملا تحت جمالها، لكن صوت أبي الذي انتقل من أمري بأخذ هاينة إلى أمري بأخذ الكتاب أفاقني من غفلتي، هكذا دون تردد لإصلاح أخطائي أخذت الخنجر بين يدي، وانطلقت متجها نحوه، لكن بالرغم من شدة الضوء ما أن رفعت ناظري إلى عينيه، حتى تراجعت دون تفكير، كانت نظراته أهول ما رأيته بحياتي كلها، خطوت خطوتين إلى الوراء، بدأ الشعاع في التناقص شيئا فشيئا ...

الكتاب موضوع مكان سقوطه، الإناء مسكوب بالبحيرة، لا أجد أثرا لا لأبي ولا لهاينة، ما الذي فعلته؟ ما الذي تسببت فيه؟ أين ذهب الكل؟ أسئلة كانت تصفعني مختلطة بأحاسيس الخوف

والندم، لم أنتظر إجابة من أحد، جثيت على ركبتي وأنا أبكي وأصرخ، تذكرت أوامر أبي بأخذ الكتاب ثم الرحيل، وكفاني عصيانا، حملته وقد كانت صفحاته فارغة كلها، ثم أخذت طريقي للعودة ....

الحلقة الثالثة: رحلة نحو اللامكان

أضواء كثيرة تعم المكان، جل قاطني مدينة الرباط المستيقظين انتبهوا إلى الشعاع وسط المدينة بحوض شالة، لكن لم يفكر أحدهم بما كان سيتبعه، لم يكن أحدهم عالما بما اقترفت يدا شاب طمعا في تحقيق هدفه الأناني دون التفكير في العواقب ...

صمت ... يكسره صفير نسر ضخم، يخرج من وسط قصر شالة فاردا جناحيه بأعالي السماء، يمتطيه رجل ضخم الجثة، وحيد العين، ذو قرنين ونابين بارزين بروز البدر في ليلة اكتماله، يقود النسر نحو إحدى الصحاري ثم يقفز قفزة واحدة نحو الأرض ترتعب لها الرمال ليغير النسر اتجاهه، ويتجه هذا المسيخ إلى كهف محكم الإغلاق بصخرة كأنه مغارة علي بابا:

ـــ "رزم أَيفري" بصوت مرعب يردد هذه الكلمات لتزاح الصخرة ويمتلئ المكان بصراخ عدة مسوخ يشبهونه، الظاهر أنه زعيمهم، يخرجون الواحد تلو الآخر، تبدو عليهم سعادة الحرية ...

في مكان آخر، بعيد كل البعد عن شالة، تقطن امرأة عجوز، أشرقت عليها الشمس وحفيدتها لتستيقظ ليوم دراسي جديد:

ـــ "كاين شي امتحانات؟" تسألها جدتها على مائدة الإفطار

ـــ "آه؟؟ ..." بنظرات استغراب "... يالاه بدينا آو"

ـــ "واللّه يس.... " يقطعها صوت صفير، تلتفت بسرعة لتجد صندوقا بجانبها يشع ويتحرك في كل مكان:

ـــ "آ مالك؟ آ شنو هاد الصوت؟" تسألها ابنتها وتتوجه إلى الصندوق لكن جدتها تزحف بسرعة إليه وتخطفه متلعثمة في جوابها:

ـــ "آه، والو والو بنتي، غير دكشي ديال الخدمة الملعونة !!" تسرع البنت نحو الباب لتتوجه إلى مدرستها غير مهتمة:

ـــ "واخا!! بسلامة ..." تخرج من المنزل، تتحرك خطوات معدودة، تأخذ ورقة من جيبها بين يديها، تبتسم ابتسامة غامضة وتردد: "... بدا اللعب هيهي "

في فترة الظهيرة بوسط مدينة الدار البيضاء، رجل مستقيم، في مقتبل العمر، يظهر وجهه ملامح الحكمة والكلمة الموزونة، ملابسه تدل على المغامرات التي عاشها رغم صغر سنه، انتصاب عوده يدل على قوته البدنية، يحمل قفصا في يده الأولى يضم فأرة كبيرة بداخله ويده الثانية فارغة تنتهي بطائر بوم ماثل على كتفه ... كان يبحث عن شيء في سوق (الفراشة) بالدار البيضاء:

ـــ "هيهيهيهي، عبدووو، حبيبيي !!" يلفت انتباهه صوت سكران كان يطلب جريدة من أحد الباعة، يتوقف ثم يبدأ في البحث بين الكتب ويتساءل:

ـــ "امممم!! باين ليا مستحيل لقا شي كتاب لي يقنعني!!" يلتفت عنده السكير وفي يده كتاب حمله من قسم الغموض ويردد بنبرة ساخرة:

ـــ "نهار تحيد المستحيل، من داكشي لي بقا، أي حاجة ممكنة، تتكون حقيقة ... هيهيهيهي ... شارلوك هولمز" يقدم له الكتاب يحمله الرجل ويجيبه باستغراب:

ـــ " مشرفين!! امم شكرا ..." يحمل الكتاب بين يديه ويبدأ في تصفح صفحاته، تلمع عيناآه "... امممم، شكرا هادشي لي بغيت ... كنجدد الشكر ديالي" يصمت لبرهة، يظهر عليه الخزي ليقاطعه السكير:

ـــ " هيهيه!! صافي بانت!! خليه على حسابي؛ كادو من عندي هيهيهي !!" ينظر إليه الرجل بخجل، يشكره، يعده أنه سيرد له دينه في أقرب وقت ثم ينصرف ...

مر يومان على الواقعة ...

كعادته بعد انتهائه بإمامة المصلين، يشغل الراديو وهو يتناول فطوره، في منزله المتواضع، الفقيه المختار أو الحاج المختار بن الوالي، فقيه دوار "المغيلة"، بضواحي مدينة "بني ملال"، في عقده السادس كان الفقيه قد ورث مهنة أبيه منه، وهي إمامة مسجد القرية، فقد تعلم فن الفقه وصرع الجن، وكتابة الحجابات (الطلاسم) وغيرها عن أبيه إذ حفظ القرآن جله في فترة غيابه، وهذا ما أعطاه شرعية خلافة أبيه، ليكون بذلك خير خلف لخير سلف، فكان من عادته الاستيقاظ باكرا لفتح المسجد، الاستماع لأخبار الصباح، هكذا ما أن يصل الظهر حتى يأخذ

مكانه في قبة المسجد قابعا بها تحت رغبة الزبائن حتى بعد العشاء.
إلى أن جاء اليوم الذي سيغير روتينه الرتيب ويفتك بالملل الذي يحيط به على حصيرة المسجد ... وهو يضع قطعة الخبز في إناء الزيت:
ـــ "جاءنا خبر عن وفاة ثالثة في مدينة الدار البيضاء، وكالعادة وجدت الجثة موشومة بمثل ما وجد في الضحيتين السابقتين، نترككم مع الصحافي سعيد للتفاصيل، إذن سيد سعيد ..."
أثاره الخبر المذاع على أثير الراديو وأشعره بالحنين إلى ماض قريب.
ـــ "آآآه اليام، فواحد الوقت ... كنا نقولو القضية فيها إن ... اللّه يرحمك الوالد، مشيتي وديتي معاك سرك ... آآه ... اللّه يرحم القبر وما خلا ..." كان يردد هذه الكلمات وكأنه يحن إلى ماض يحمل في طياته أشياء خطيرة، غامضة وجميلة في الوقت ذاته، محتار بين رغبته في عيش الماضي مرة أخرى، وبين الشعور بالراحة لتجاوزه ما الذي قد تجاوزه؟ وما قصة هذا الاشتياق المتناقض إذا؟
في هذه الأثناء دخل طائر من النافذة ما أن لمحه الفقيه حتى ارتعب كأنه رأى شيطانا، رأى الغراب الذي لم يعهد رؤيته مذ كان شابا، أسرع نحوه، أخذ الرسالة، فتحها، تصبب العرق من جبينه وهو بصدد قراءتها كأنها تحمل في طياتها سر نهاية العالم، هكذا ما أن أكمل رسالته، حتى أسرع إلى غرفته ليغير ملابسه، أخذ معه خنجره ومحفظته ثم انطلق مسرعا نحو محطة الحافلات باتجاه العاصمة الرباط...
ـــ "شنو درت؟ شنو وقع؟؟ علاش طرا هادشي علاآآآ...آآش؟" مر ما يقارب اليومين على الحادثة وأنا ما زلت جالسا في نفس الزاوية من المنزل منذ وصولي إليه، جلسة خوف وحسرة وندم، فما أنا عالم بما جرى، ولا أنا راض بما تسببت فيه، ما هذه الأحداث يا ترى؟ كل ما تمنيته هو لقاء محبوبتي، لماذا كل هذه النتائج؟

وأنا في جلسة عتاب إذ بي أسمع صوت طرق الباب، أيكون أبي؟ نهضت مسرعا وضاحكا

ـــ "لوآلييد!!" هرولت فرحا نحو الباب ظانا أنه أبي، لكن كان عكس ما رأيته تماما، تجاعيد ولحية صغيرة، جلباب، محفظة على الكتف الأول أكل عليها الدهر وشرب، ثم خنجر على الكتف الثاني، رجل ما رأيته في حياتي قط، ولج المنزل دون سابق إنذار، كأنه يعرف مقصده.

ـــ " شكون نتا؟ شنو با..غي؟ أو كيف..." أخذت أسأله رغبة مني في معرفة مقصده من ولوج منزلنا لكنه قاطعني قائلا:

ـــ "ولدي!! نتا هو عدنان؟ جمع حوايجك أو بلا أسئلة راك غادي معايا!!" كان يخاطبني بثقة وحكمة كبيرتين، كان يتكلم وهو يتجول في المنزل يبحث عن شيء ما.

ـــ " وا شكون نتا؟ أو كيفاش نجمع حوايجي؟؟ أو فين غادين؟؟" لم أكف عن الأسئلة لكنه كان يسرع في كلامه وهو يلف المنزل ويجيبني:

ـــ " ما تاجمعش كلشي، جمع غير تبديلة وحدة، هزمعاك أي حاجة مهمة عندك، حيت محال لترجع لخربتكم دغيا" بدأ يتكلم ويأمرني وهو ينتقل من غرفة إلى غرفة، لم أدرك ما يقول أو ما يفعل حتى سألني عن غرفة جدي، هنا علمت أن له علاقة بما حدث وأنه قد جاء لمساعدتي، ولجها وبدأ يجمع ما أسقطه أبي، أيقظت نفسي وتبعته إلى الغرفة ثم صرخت:

ـــ " وآ شكون نتا؟ أو فين غادين؟

ـــ " غادين نفكو الحريرة لي درتي !!" نظر إلي، ثم أكد لي أننا سنذهب لحل هذا المشكل، وإنقاذ أبي، كانت لدي تساؤلات كثيرة، لكن جديته ورسالة أبي التي كان يحملها بين يديه كانتا كافيتين لإقناعي بأن باب الأمل مفتوحا أمامنا، ذهبت، لأغسل وجهي، غيرت ثيابي، قميص يشبه الجلباب القصير، سروال عسكري متعدد الجيوب، فكرت أنني سأحتاجها في رحلتي، لبست حذاء

ثقيلا كنت ألبسه في مهامي المتعبة، هكذا حملت محفظتي بعد أن وضعت بها صورة لأمي، شريط القصة ثم مسجل صغير لكيلا أحرم من صوتها، خرجت من غرفتي مبتسما دون سبب كأن وطأ قدمي خارج الغرفة سيكون بداية لأحسن نهاية.

ـــ " آه اللّه يرضي على ولدي !!" خاطبني وهو يحمل حقيبة جدي وينوي المغادرة، هكذا حزمت رحالي رفقة شخص مجهول واضعا فيه كامل ثقتي، بغية تصحيح أخطائي، جاهلا تماما وجهتنا.

ـــ " سميتي المختار، 66عام، نتمنى تعجبك الرفقة ديالي ..."

الحلقة الرابعة: بداية المعركة

... بقى يسول اللي لقى من الناس على فين ساكنة هاينة و كلهم تيقولو ليه هاينة اللي تزوجها الغول !؟ ومستغربين حيت حتي واحد ما يقدر يقرب لهكان سكن عمي الغول!

نعتو لو لهكان؛ وصل لدار عمي الغول ولكن ... منين يدوز باش يشوف هاينة؟ كيفاش يعمل باش يتكلم مع هاينة؟ فجأة جا عندو واحد الفروج خرج من دار عمي الغول وهو يعيط ليه وسولو: اشنو كتعمل هاينة؟

جاوبو الفروج: هاينة غسلات الصوف وتتنشر هنا باش تنشف! ...

ـ "هههههههههههه...!!!" قطع ضحك الفقيه صوت المسجل، قطع عني متعتي وأنا أتخيل نفسي من جديد بطلا لقصة هاينة.

ـ "آمالك؟ سمعتي شي نكتة؟" جالسين في الكراسي الأخيرة في الحافلة، أنا والفقيه فقط نستمع إلى صوت أمي وهي تحكي، لكنه شوش على مخيلتي الواسعة بضحكته التي عمت المكان مباشرة بعد كلام الديك:

"والو غير كمل !!" أجابني وهو مبتسم، أغمضت عيني مرة أخرى وأطلقت المسجل:

... قال ليه ولد العم: سير كلمها ليا، لف الصوف على رجليك وخرج تجري عندي وهي غادي تتبعك ...

وهادشي اللي كان وما شدها الفروج حتي شدها عند ولد عمها عاد وقف، وكيف شافتو هاينة ...

ـــ "هههه.... هههه!!!" مرة أخرى يقهقه دون سبب، ويقطع علي استمتاعي بالقصة.

ـــ"وا مآا...الك؟ أوف تا مالك كضحك فيما تسمع هاينة تضحك؟؟" سألته منفعلا لكنه نظر إلي مبتسما من جديد وأمسك بالمسجل، أطفأه ثم بادرني بسؤاله:

ـــ "زعما ما سولتيش" راسك فين غادين؟ أو شنو غادين نديرو؟"

ـــ "أنا هاد الأسئلة ماكاتهمنيش كثر ما كيهمني الجواب.." استمر في الابتسامة وأجابني:

ـــ " أو شنو هاد الجواب لي كتقلب عليه؟"

ـــ "هو نتلاقا مع الواليد، أو يسمح ليا على شنو درت" أجبته وأنا نادم أشد الندم على ما اقترفت يداي، اختفت ابتسامته على وجهه وعادت الجدية لتخيم على ملامحه هذه المرة:

ـــ "هادا بحد ذاتو سؤال من الأسئلة، أو على العكس هذا هو أهم سؤال، أو أبعد سؤال نقدر نجاوب عليه" في هذه اللحظات أحسست بعمق المشكل الذي تسببت به لأبي، هكذا قرأ الحاج ما كنت أفكر به وأجابني:

ـــ "إيلا بغيتي نوصلو لباك، راه ماشي صعيب ولكن طويل، جبتي معاك ذاك الكتاب؟" طأطأت رأسي، أعطيته الكتاب ليبدأ بتصفحه، بدأ بالضحك على ما ابتلينا به:

ـــ "هههه، وا تقول واش شي وحدة بقات عامرة" يرفع وجهه عندي وهنا أكد لي:

ـــ "الطريق لباك أولدي ماصعيباش، ولكن مزال بعيدة، الطريق لباك أولدي ماغانوصلوا ليها حتى نعمروا هاد الكتاب صفحة صفحة !!" لم أفهم كلمة مما قال وهنا بدأ يشرح لي ما عناه:

ـــ "ليخطف باك أولدي، ما هو من الجن ما هو من الإنس، ليخطف باك أولدي هو سباب المصايب كلها لي كانت فوقت جدك اللّه يرحموا ويوسع عليه قبرو، كان فيما يدور يدير مصيبة، ها ليقتل ليها ولادها، ها ليشتت ليها الشمل، ها ليطير ليه لعقل، أو جدك اللّه يرحمو أولدي، كان سباب باش تهنينا من شرورو" كنت أنصت باهتمام كأنني أسمع إلى قصص أمي "ولا بغينا أولدي نتهناو تاحنا من شرورو خاصنا نتهناو من الخدم ديالو، خدمو أولدي منتاشرين فكل قنت فالبلاد، أو باش نوصلو ليه، الطريق الساهلة هنايا هي نوصلو ليهم"

ـــ "أو كيغنديروا تا نوصلو لهاد الخدم؟" سألته مبديا اهتماما جديا بالموضوع، هنا فتح الحقيبة وأخذ منها أوراقا وقنينة صغيرة، أعطاني مذياعا أخرجه وأمرني بتشغيله، فتح القنينة، ثم صب قليلا منها على ظهر يده، كانت تحوي مادة مخدرة تسمى في ثقافتنا "النفحة"، وضع القليل منها على ظهر راحته ثم

استنشقها، تراجع إلى الوراء وعطس عطسة مدوية كأنها هزيم الرعد.

ـــ "الحمد للّه ... آراك لقراية دابا، أجي حدايا ولدي" اقتربت منه، بدأ ينشر الصور على فخذيه على الجلباب، حملت الصورة الأولى و كانت عبارة عن مقتطف من موضوع جريدة "وجد شخص مقتول بطريقة وحشية في مدينة الدار البيضاء بعمارة بعين السبع" التفتت عند الفقيه و أنا متسائل عن علاقة ما بيدي بقضيتنا، أمرني حينئذ بتصفح الموضوع و صوره، فإذا بي أرى صورة رجل مفتوح البطن و الصدر، وصورة بجانبها تحمل وشمة على كتف الميت، هكذا لما أشرت إلى الوشمة حمل صورة أخرى من جريدة أخرى، وكانت تحوي نفس الرسوم غير أنها كانت لشخص آخر، سألته ما هذا أو ذاك؟

ـــ "أنا فلول كنت كنصحاب هاد شي عادي، ولكن ملي عرفت داكشي لي وقع، مشيت الرباط أو شريت جورنالات ديال هاد اليوماين لي فاتو، يعني من نهار وقعات الواقعة، أو لقيت بلي القتلات شي حاجة ليمربوطة بواحد من الخدم ديال هاداك لي خطف باك" لم أفهم معظم ما قاله، لذا سألته إن كانت الوشمة عبارة عن رمز من رموز خدم الشرير فكان جوابه:

ـــ "تماما ولدي، هاكا الوجهة ديالنا لولا هي الدار البيضاء، أو بالضبط ديور هاد الناس لي ماتو، لينطلب منك نتا هو تقيد ليا العناوين ولا أي حاجة مهمة لقيتيها على هادشي" يعطيني الصور كلها ومذكرة وقلم.

ـــ "خليني نضربها أنا دابا بشي نعيسة، راه عمك الحاج شرف أو وقت نعاسو كثر من وقات فياقو، نضربها ليا بشي نعيسة على صوت أم كلثوم" يلف قب جلبابه على المذياع قرب أذنيه، يغير المحطة وينام ....

الحلقة الخامسة: سكران أو حاضي حوايجو

ـــ "صراحة، عامري فكرت بلي لهاد الدرجة كانت خايفة عليه، حسبي اللّه ونعم الوكيل، شوفوا دابا شنو خلاتو يدار ليه" باكية وحزينة على موت زوجها، كان تصريح زوجة الضحية الثانية عند زيارتنا لها قرب شاطئ زناتة، بعد أن زرنا زوجة الضحية الأولى فيما سبق القاطنة في نفس المكان تقريبا، وها نحن في طريقنا إلى عين السبع لزيارة الضحية الثالثة التي علمنا بوفاة زوجها عبر الراديو، هكذا ونحن متوجهون إليها سألت عن وجهتنا بعد الضحية الثالثة.

ـــ "إذن وصلنا خبر عاجل من الصحفي سعيد، قتيل آخر في حي الصخور السوداء ولا شيء مشترك بين الضحايا الثلاث سوى الوشمة على الكتف، نترككم للتفاصيل مع الصحفي سعيد..." بعد أن كاد عمي المختار يجيبني عن سؤالي، شتت انتباهنا صوت المسجل، تغيرت ملامحه فجأة وانطلق مسرعا نحو سيارة أجرة صغيرة ثم نحو العنوان الذي أعلنه الصحفي...

تجمع كبير من الناس، الشرطة تغطي المكان بسياراتها، رجال بوزرة بيضاء اتضح لي أنهم من الشرطة العلمية ـــ و هي القسم المسؤول عن التحليل العلمي و التقني للجرائم ـــ رقعة الجريمة محاطة برجال الأمن من كل صوب و حدب، دهشت من طبيعة المنظر بحكم أنها تجربتي الأولى في عيش أحداث جريمة معينة، لكن حاولت التخلص من دهشتي و التجسس لاستكشاف ما يجري هناك، لمحت الجثة على الأرض لكن ذلك لم يؤثر بي على

الإطلاق، رجل ميت، رجليه منفرجتين، يسبح في بركة من الدماء على الأرضية، ملابس ممزقة، لكن أشلاؤه ظاهرة من أسفل ظهره و حتى بين فخذيه، رؤيتي لذلك المنظر جعلني أشمئز مما دفعني للتراجع قليلا لأباشر بحثي عن مكان الوشمة، هكذا انتبهت إلى محاولات دخول الفقيه في حوارات عديدة مع العامة، فهمت من محادثاته أنه يبحث عن زوجة الضحية ليسألها كما سأل السابقات عن أزواجهم، ساعدته أيضا بالبحث هنا وهناك.

ـــ "آآه أولد ختي، مشيتي أو خليتي للا خديجة بوحديتها مسكينة" بصوت باك وعال، أخذ الفقيه يصيح كأن الميت من عائلته، لم أعرف المقصود من تصرفاته، لكن سخرية المنظر جعلتني أضحك في داخلي، ما حدث بعد ذلك هو ما جعلني أفهم مقصده، خصوصا عندما أجابه أحدهم أن اسمها ليس خديجة، نظر إليه الفقيه بنظرات التماسيح الباكية:

ـــ "آاه أولدي، أسمح ليا، راه تلفة ديال ولد ختي اللّه يرحمو مسكيين" زاد من حدة بكائه وهو يبكي لكن غير تكشيرته بعد قول الغريب:

ـــ "آاصبر الحاج، الأرزاق بيد اللّه أبا الحاج، أو مزال الدرية مسكينة يلاه شهر باش تزوجوا، ما زال صغيرة أو مازال فين تلقا رزقها إن شاء اللّه" حينئذ مسحت الدموع لوحدها، نظر إليه بثقة وفرح:

ـــ "ريحتيني اللّه يريحك، الحمد للّه داكشي لي فبالي هو لي كاين، اللّه يرضي عليك" يتراجع ويجرني، يجلس على الرصيف ليبدأ الكلام، يحمل قنينة النفحة مرة أخرى:

ـــ "المهم، كيما فكرت، مولات الفعلة كتقتل ڭاع ليمزوجين من بعد ما ماتو عيالاتهم، أو الوشمة أكبر دليل أنها هي مولاتها، عايشة" اندهشت بما قال مع أنني لم أفهم معظمه، نظر إلي:

ـــ "فالطريق أو نفهمك" ابتلعني الصمت وتبعته هنا بدأ يتساءل عن كيف يمكننا أن نعرف مكان الضحية التالية ونحن وسط أكبر المدن في البلاد، هنا فهمت مقصده وقبل أن يكمل تساؤلاته، بدأت في البحث عن أحد الأشخاص الذي كنت قد انتبهت له وأنا داخل مسرح الجريمة...

ـــ "هههيههيهي، الوشمة لي كانت فخوتو فيه هو دابا، هيههيهي أو توما كآآآاملين تاحد فيكم ما عرف الوشمة ديالاش ولا منين جات" هكذا أثارني ذلك السكير بتوبيخ الموظفين المحاطين بمسرح الجريمة، لا يظهر عليه أن له علاقة بالقضية، بطريقته و تحركاته الطفولية لكن بعد التأكد وجدت أنه قائد الخلية هناك، المحقق شعشاع المشهور في شتى مناطق البلاد بدهائه و ذكائه العاليين، مما جعله يحتقر البشر جميعا، نظرته المختلفة للقضايا جعلته ينتظر قضية تحمسه لهذه الدرجة، مع أنه كان من الممنوع الشرب وسط أجواء الأعمال إلى أن شعشاع كان من أكبر سكيري المدينة، ولم يكن أحد يعزم على منعه، إذ أن سكره كان السبب في دخوله منطقة تركيزه، هنا أكد له شرطي أن تلك الوشمة راجعة إلى ثقافة قديمة، كانت معروفة في عهد الفينيقيين.

ـــ "واش نتوما غا ليوضركوم تمشيو معآه" يصرخ عليهم "عهد الفينيقيين ولا المرابطين آاش همني أنا فهادشي؟" هكذا كان جل

كلامه متناقضا فمرة يرمي لهم كلمات عن الوشمة ومرة يهينهم لتركيزهم عليها.

ـــ "أنا عارف الوشمة فاش غتفيدنا، أو عارف حتا فين نلقاو لي كاتقتل ناس" توجهت إليه دون تفكير، وصرخت لأشد انتباهه، التفت إلي وهو حامل قنينة معدنية صغيرة، خفت في بادئ الأمر لكنه ربت على رأسي واقترب مني كثيرا ثم سألني إن كنت متأكدا من كلامي، حركت رأسي بالإيجاب، فغير نظراته وبدت السعادة بادية على وجهه:

ـــ "آاه، آاه اه، شكوون شكووون؟" بانفعالية وإثارة كبيرتين "جاوب دغيا شكون شكون؟؟؟ تراجعت بطريقته الاندفاعية، أجبته أنني لا أعلم بالضبط التفاصيل، لكن...

ـــ وآا دابا هاحنا أنبداو فشطحني نشطحك ... سير أولدي خلي ناس يديرو خدمتهم" يذهب في سبيله نحو مسرح الجريمة مرة أخرى لكنني أؤكد أنني أستطيع إيصاله إلى الجريمة التالية ومكانها في أقرب وقت، التفت إلي برأسه من جديد، لذا وجهت تفكيره إلى ما قال لي الفقيه عن كون الضحايا كلهم قد تزوجوا للمرة الثانية قرابة شهر من الآن، تقدم نحوي مرة أخرى بدأ بالضحك ثم قال:

ـــ "وأخيرا، واحد فكر ..." التفت عند الشرطة "شتوا الحيوانات، برهوش قد فخضكم قال لي كان خاصكم كآملين تلقاوه، تفووو" يخبئ القنينة الصغيرة في قميصه ثم يخرج من ساحة الجريمة، كان شارد الذهن، متناقضا في أحاسيسه وكلماته، هنا سألني عن

كيفية معرفتي بهذه الأشياء فقلت له أن الفقيه هو من توصل إليها:

ـــ "أو فينهوا هاد عمك الحاج المختار؟ ما كاد يرفع رأسه أمامه حتى:

ـــ "هاهو عمو الحاج المختار! كاين شي مانقضيوا" فوجئ المحقق بصوت الفقيه ثم تراجع مفزوعا، نظر بعينيه الذابلتين إلى الحاج وسأله عما يحمل من معلومات، قاطعت حديثهما محاولا أن أظهر ذكيا:

ـــ "كيما قلت ليك، كاملين الناس لي ماتو كانوا يلاه شهر دابا باش تزوجوا، ماغانقدروش نعرفوا بالضبط فين ولا شكون، ولكن نتا بوليسي أو تقدر تعرف الناس المقصودين" نظر إلي المحقق نظرة ملؤها الإعجاب، وأيد اقتراحي إذ أخذ اللاسلكي الخاص به وتوجه إلى جميع الوحدات :

ـــ "لكل قمقوم كيسمعني فهاد كازا!! معاكم المحقق شعشاع، بغيت نعرف على أي راجل تزوج فالمدة ديال شهر بالحساب، أو خصوصا لي ماتو ليهم عيالاتهم قبل داك الشهر!!" أمر المحقق بالبحث في القضية، التفت إلينا وأمرنا بالانضمام للأخذ بأقوالنا، ركبنا سيارته، أخذها بعيدا عن ساحة الجريمة ثم أوقفها منتظرا أي بحوث أو نتائج من الشرطة، التفت إلي في الكرسي الخلفي:

ـــ "هاد المرة عرف راسك شكون كادوي معاه، أنا ماشي بوليسي، أنا محقق" التفت إلى الفقيه وسأله عن كيفية معرفتنا بهذه المعلومات وعن علاقة الوشمة بذلك، وما إن أوشكت على نطق أولى الكلمات حتى نظر إلي الفقيه بملامح جامدة، تراجعت ثم بدأ في الكلام:

ـــ "واحد فيهم ولدي، السيد ليمات فزناتة، اللّه يرحمك أولدي!!" وهو باك "مات أو الحرقة ديالو خلاتني نبقا نسول أو نقلب حتى عرفت أولدي ...." كان الفقيه يتكلم وهو يبكي كأن خروج دموعه أسهل من شرب الماء، كان يبكي وكأنه يحس بكل كلمة قالها، هكذا وهو يتكلم، قاطعه صوت اللاسلكي الخاص بشعشاع:

ـــ "لقينا داكشي لي بغيتي أسيدي شعشاع!! حول"!!

الحلقة السادسة: كتاب شالة

ـــ "هاهاهاها، كان كيسحابليكم آنبقاو ديما منفيين فديك جهنم الكحلة، هاهاهاها" في تلك الأثناء التي كنا نحقق فيها حول حقيقة موت الضحايا الثلاث، كان الشيطان الغريب الذي كان سببا في وقوعي وأبي في هذه المصيبة مجتمعا في وكره مع خدمه وحشمه، يصرخون فرحين، مبتهجين بخروجهم إلى الحياة من جديد.

ـــ "شنو بان ليكم دابا، داكشي هو هاداك؟ هاهاهاها" يلتفت نحو شخصين على الأرض جانب عرشه، رجل شهم بملابس عادية، وفتاة شابة بملابس رثة، أصبح أبي وهاينة سجينين لدى الغريب إذا.

ـــ "هاهاها، شنو دابا؟ هاحنا كيما دخلنا خرجنا، أو كيما كانت عائلتك سبابي فعذابي، هاهي دابا سباب فعذاب كل صغير وكبير فهاد البلاد، سباب فعذاب كل مرا وراجل، أو هاد المرة ماغاتكونش كيلي سبقاتها، هاد المرة ماكين فين نرجعوا" يمسك بخصلات شعر أبي بين يديه، يقربه منه بطريقة مستفزة، ثم يباشر تهديده وتوبيخه بأحقر الكلام، يصمت أبي أمامه لأن لا حول له ولا قوة إلى أن تسنح له الفرصة:

"تفووووو" يبصق في وجه الشيطان، يبتعد هذا الكائن الغريب عن شعر أبي ثم يلف أصابعه الضخمة حول عنقه، يحمله إلى أعلى ثم يخاطبه قائلا:

ـــ "عارفني نقدر نحيك بشوفة وحدة يا الكلب، ولكن عدك الزهر، حيت باغيك لا نتا لا هاد الجروة لي معاك، أو نهار نسالي منك، ديك ساعات نجاوبك على هاد الدفلة، آاعغ" يدب الرعب في قلوب الخدم بسبب صراخه المدوي، ينادي على أحدهم، يأتيه حاني رأسه:

ـــ "نعام أسيدي؟"

ـــ "خود عليا هاد الحيوانات أو حطهم فقفصهم" يرمي بأبي نحو هاينة "أو قول لغول بلي هو لي غايكون حارس عليهم" يمسك الوحش أبي وهاينة من ذراعيهما ويأخذهما نحو الزنزانة، يأتي الغول بعد ذلك، يغلق البوابة وينظر إليهما، ثم يجلس أمام القفص...

ـــ "على هاد الحساب كيغانديرو تانعرفوا إينا واحد فيهم؟" وصلت المعلومة المرادة إلى المحقق، وعرفنا أنه من غير المتوفين في هذا اليوم، مازال شخصان بالصفات المطلوبة، وأحدهما لابد أن يكون الضحية التالية، شغل المحقق سيارته محاولا التدخل قبل وقوع أي مصيبة لأحدهما.

ـــ "من الأحسن نتفرقوا أولدي، كل واحد فينا يمشي عند واحد!!" اقترح الفقيه هذا الحل على المحقق، لكنه رفض بحجة أننا مدنيين وغير مسموح لنا التدخل في هذه الأمور، أقنعه الفقيه بذلك عندما قال له أننا أحسن بكثير من الشرطة المحيطة بالمحقق وأنهم لن يفيدوه بشيء بقدر ما سنفيده نحن بخبرتنا، صمت المحقق كثيرا، أعطى للفقيه اللاسلكي، وسأله عن أي الضحيتين سنزور، فكان الجواب الضحية المحتملة بحي بورڤون نظرا لقربه، هكذا انطلق المحقق دون كلمة...

تتبعنا عنوان الضحية المحتملة القادمة، ما أن فتح الباب حتى شرح له الفقيه أن هناك قاتل ينفذ جرائمه بانتظام يتجول دون حسيب ولا رقيب، ويقتل صاحب المواصفات المتكلم عنا سابقا، أبدى الرجل ارتعابه من الخبر لذا أدخلنا، غلق كل الأبواب والنوافذ، وضع صينية شاي وصحن حلوى، هكذا بدأت أستكشف أكثر عن هذا العالم، بعد أن أجاب الفقيه عن سؤال الضحية المفترضة حول مواصفات القاتل:

ـــ "السؤال هنا ماشي شكون ولكن شنوا" أخذ كأسا من الشاي ثم تابع شرحه "ليتابعكم أولدي كيما قلت لعدنان فلول، ما هو من الإنس ما هو من الجن، ليتابعكم أولدي هو واحد من جنود ملك الشر، ابريس ..."

لم أفهم معظم كلامه لكنه أكمل: "ليتابعكم أولدي، هو واحد من الآلهة القدام وليعوذ باللّه" صرخ الضحية وهو فزع مما قاله الفقيه، لكنه أكمل "الملكة عشتار أو عيشة كيما كنعرفوها فهاد البلاد، كانت واحد القديسة فالعهد ديال الفينقيين، وكانت أكثر وحدة فهمات شنو هو الحب في التاريخ، هاكا ولات وحدة من آلهة الحب عندهم"

ـــ "أو شنو علاقة هادشي بالناس لي كيموتوا؟" سألته متعجبا من سرده

ـــ "الملكة عشتار كانت كتآمن بأن الحب كيدوم و لو بعد الموت، هادشي لي كان عاطيها الحق تقتل أي واحد تزوج من ورا مرتو، أو كانت كتوضع عليهم كعلامة للحب الكاذب أو الحب الفاني كيما

كانو كيسميوه ديك الوقت" انتبهت لكل كلمة قالها الفقيه و هنا فهمت بأن رحلتنا هذه لن تكون بالسهولة التي افترضتها، و ما سنواجه سيكون أبعد من الخيال نفسه، و نحن نتبادل أطراف الحديث حول هذه الأخيرة، اتصل بنا المحقق على اللاسلكي يسألنا إن كنا وصلنا، وكان جواب الحاج بالإيجاب و أننا ننتظر فقط القاتلة، سألته بعد ذلك عن كيفية قتل هذه المخلوقة وكان جوابه صادما إذ أن هذا النوع من المخلوقات لا يموت، وأنها محض تجسيد لمخيلاتنا، مما يجعل هزمها أمر أقرب إلى المستحيل، في هذه اللحظات أخذ الفقيه الكتاب ثم بدأ في الشرح:

ـــ "هاذ الكتاب أولدي هو طريق نجاتنا، المخلوقات اللي تابعينا سميتهم مخلوقات شالة، حيت خارجين من واحد العالم لي بعيد كل البعد على لأرض لي فيها حنا، أو هاد العالم سميتو شالة، هاكا حنا مامتبوعينش باش نقتلوهوم، حنا متبوعين غير باش نرجعوهم العالم ديالهم فهاد الكتاب" أثناء شرحه أحسست ولأول مرة في حياتي بشعور حماسي يجرفني الى البحث عن هذه المخلوقات واحدا تلو الآخر و القضاء عليها، أخذ الفقيه الصندوق الأحمر، أخرج منه ثلاثة أعمدة خشبية لفها بأوراق، بلل الأوراق بالبنزين، ثم أعطى لكل واحد منا واحدة مع ولاعة:

ـــ "باش نتهناو من هاد المصيبة، كيخاصنا ندقوا ليها النار فقلبها، هاد الخشبات أياخدهم كل واحد فيكم، تبان ليك مرا زوينة بزاف، خرجات من والو، عرفها راهي، أو شحال ماغواتك بجمالها تاقا مولاك أو دق فيها هاد العود راها غا شيطانة" حمل كل منا ولاعة خشبية، ذهب الرجل ليجلس في الغرفة لوحده،

بقيت جالسا أنا والفقيه ننتظر خارجا، متمنيين أن تقع عشتار في الفخ..

ـــ "بالنسبة للمحقق، راه ما عارف والو، إيلا خرجات ليهوم آش غايديرو؟؟" نظر إلي نظر إلي مبتسما ثم أكد أنها لن تأتي إليه، هكذا ما كدت أسأله حتى...

الحلقة السابعة: أميرة جميلة أم عجوز شمطاء

وصل المحقق إلى الضحية المحتملة الثانية بحي مولاي رشيد، حاول أن يفهمه على طريقتنا بأن هناك قاتلا يحوم حول الرجال المتزوجين حديثا للمرة الثانية، أي أنه أيضا معرض للموت في أي لحظة؛ أرعبه ذلك جدا، وزاد من رعبه طريقة المحقق في إحاطته علما بالخبر، حتى أنه بدا خائفا من المحقق نفسه أكثر من خوفه مما ينتظره، و من حسن حظهما أن زوجته و على عكس الحالات السابقة كانت بالمنزل، قدمت كأس عصير و بعضا من الحلوى للمحقق، الذي أخذ يلف حائرا بين غرف المنزل، متمعنا في الصور والرسومات الكثيرة المعلقة بالجدران، كان يفكر بعمق في تفاصيل الجرائم السابقة محاولا الخروج بنتيجة منطقية حول ما إن كانت الضحية المقبلة هو صاحب المنزل الذي هو بصدد زيارته أو من زرنا أنا والفقيه عندها تذكر قولي :

ـــ "أنا عارف الوشمة فاش غتفيدنا، أو عارف حتا فين نلقاو لي كاتقتل ناس" ركز على كلماتي الأخيرة ثم تذكر قول الفقيه أيضا على اللاسلكي:

ـــ "آحنا كانتسناو فيها غير تبان" هكذا بدأ يفكر في الجملتين، ويلاحظ أننا لا أنا ولا الفقيه كنا نتكلم عن القاتل بصفة المؤنث، تساءل عن سر هذه الصدفة وهنا فكر وهو يلمح خريطة مدينة الدار البيضاء مرسومة على الحائط:

ـــ "المحقق شعشاع، كاين شي قمقوم؟" نادى باللاسلكي على الوحدات، وهو يمرر سبابة يده الحاملة لكأس العصير على خريطة الدار البيضاء المرسومة على جدار البهو، أجابه أحدهم فأمره أن ينظر بأمر آباء الضحايا القاطنين بشاطئ زناتة.

ـــ " ههه، عجباتك، رسماتها المرحومة اللّه يرحمها" يلتفت المحقق عند صاحب الشقة بعد أن يخبره أن تلك الأعمال تعود إلى زوجته المتوفية "كانت فنانة اللّه يرحمها، أو كانت فيما تلقا شي بلاصة خاوية تعمرها بواحد من الفنون ديالها" ينظر إليه المحقق بنظرات ذابلة غير منتبه لما قال :

ـــ "عندك قلم ماركور؟" يصدم المحقق الضحية بسؤاله الخارج عن الموضوع، لكن يجيبه بالإيجاب، فيأمره المحقق وهو يركز على الخريطة "جيبو ليا"!!...

لباس اغريقي قديم، تاج على الرأس، شعر ذهبي نوره يعمي الناظرين، قوام مثالي، عينان خضراوان جميلتين، فتاة وجدت في غرفة الضحية من العدم، صوت يجذب لها السامعين ويخدر الأذنين من رقته، كنت أنا والفقيه في الغرفة الأخرى منتظرين أي إشارة:

ـــ "سلام"، حيته بصوت رنان فرد عليها السلام بهدوء، وناداها باسمها:

ـــ "آاه، قالو ليك عليا؟" كان ينظر إليها ويتراجع كلما اقتربت منه، يحمل العمود وراء ظهره:

ـــ "ماتخافش، جيت آباش ندوي معاك، لي عاودوا ليك عليا، ماكين منو والو، ماتخافش" كان صوتها يخاطب جوارحه بجماله وعذوبته، اقتربت منه فأشعل الفتيل ولوح به في اتجاهها، أمرها بالابتعاد:

ـــ "شنو درت ليك؟" تتكلم معه بشفقة تحاول الاقتراب منه مرة أخرى وتحبسه مع الجدار، ينادينا بأعلى صوته، أشعلنا أنا والفقيه الأعمدة ودخلنا وحاصرناها داخل الغرفة:

ـــ "علاش باركا تقتلي في الناس؟ علاآ.... آآش؟؟" سألتها بحرقة على الذين ماتوا وأنا أتذكر صورهم المؤلمة، بدأت تتكلم كأنها خائفة منا، تحاول أن تغوينا بصوتها الحزين المنمق:

ـــ"أنا ماقتلت حد" وجه حزين "أنا كاندير آخدمتي..." بدأت تبكي "واش واحد كيتسنا مرتو إيمتا تموت باش يتزوج وحدة خرى؟" تغير من مزاجها و بدأت ملامحها تتغير في وجهها "أو بغيتي نخليه حي" صرخت وتلت صرختها تغير ملامح وجهها إلى ملامح عجوز شمطاء "الحب ليموت ، كيقتل معاه مولآ...آه هاهاها" تحول صوتها من الصوت الرقيق الحزين إلى صوت قبيح يصم الأذنين مليء بالشر و الحقد، و تحول خلقها من الأميرة الجميلة المثيرة إلى العجوز الشمطاء المرعبة، حاولت مهاجمة الرجل، لكنه لوح أمامها بالغمد المشتعل مرة أخرى، هربت منه في اتجاه الفقيه الذي هاجم عليها بالمثل، بدأت تلف هنا وهناك خائفة من العصي النارية في أيدينا، تبحث عن أقرب مخرج لها، ولم يكن الباب إلا خلفي، لذا فقد استسلمت، هاجمتني بكل قوتها، أغمضت عيني من شدة خوفي ووضعت العمود أمامي منتظرا نهايتي، لكن

لحسن حظي سمعت صوت اختناق، فتحت عيناي قليلا، لمحت العمود الذي كان بيدي، قد انغرس معظمه داخل عشتار، ثم هجم عليها الحاج من الخلف و غرس فيها عمودا آخر جانب الأول، ثم تركها، تركت العمود أنا الآخر، سقطت عشتار و هي تصرخ و تحترق من قلبها حتى أطرافها، صرخت ولم تتوقف من الصراخ حتى احترقت بالكامل حينئذ طار الغبار نحو النافذة، وأنهينا معركتنا الأولى مع هؤلاء الوحوش، انتصرنا في المعركة لكن الحرب لا زالت طويلة تحتاج جهدا مضاعفا لمواجهة سيد الشر، ابريس.

في تلك الأثناء كان المحقق ملتصقا بأحد الجدران يحمل كأسه وقلمه، كان يفكر مرارا وتكرارا في كلامي السابق أنا وجدي عن كون القاتل أنثى، ويحاول البحث عن احتمالية حدوث الجريمة في أحد المكانين، وكان يضع نقطة في كل مكان حدثت به الجرائم السابقة على الجدار، حتى جاءته رسالة من اللاسلكي يؤكدون فيها أن الضحية الأولى يتيم الوالدين، والضحية الثانية وضع أباه بدار للعجزة، أسقط المحقق الكأس من يده من إثر الصدمة وهولها، يفكر قليلا، يأخذ رشفة من القنينة التي في جيبه وهو يرتجف، يرجعها ويهرول نحو السلالم...

ـــ "معاكم المحقق شعشاع، لكل واحد كيسمعني بغيتكم كاملين في مكان الضحية المحتملة الأولى بحي بورڤون، كانأكد ليكم لكل واحد كيسمعني بغيتو دابا فمكان الضحية الأولى ببورڤون" صرخ بأعلى صوته على الوحدات كلها لينتقلوا إلى مكان الضحية التي أنقذناها للتو، في تلك الأثناء كنا في طريقنا إلى

العودة، سمعنا صوته وهو يزمجر من اللاسلكي الخاص بنا، أجابه الفقيه المختار:

ـــ "ماكينش لاش تعذبوا ريوسكم، سي شعشاع، كنحييك أولدي، ماتخافش حلينا المشكل، أو مابقات أتوقع حتا جريمة بهاد الشكل" لم يعرف أحد من الشرطة من كان المتكلم، أو على ماذا تكلم، أو كيف أنقذ الضحية، لكن لعلم المحقق بالحقيقة صب علينا كامل غضبه عبر اللاسلكي الذي كان الفقيه قد رماه خارج سيارة الأجرة، في تلك الأوقات سألت الفقيه عن كيفية معرفته لمكان الضحية الحقيقي فأجابني :

ـــ "إيلا لاحظتي الأحياء كاملة لي مشينا ليها عند ديور ناس لولين لي ماتو كانو قراب البحر، عشتار كانت كاتفضل تعيش فالأماكن الرطبة، أو كانت كتكره الأماكن الحارة ولا الجافة، أو هوكا فكرت بلي مايمكنش درب بعيد على البحر أيكون هو مكان الضحية القادمة" نظرت إليه نظرة طويلة ملأها الإعجاب بشخصه والحماسة للاستمرار في حل ألغاز هذه القصة، شغلت الراديو على قصة أمي، واستلقيت ...

... وقالت ليه، أناري يا ولد عمي واش جابك وكيف ندير ليك؟ الغول يرجع من الصيد يشم رحمتك، ليوم لا نتا لادنا يا ولد عمي ... فكرت فين تخبيه ونزلاتو الطهورة دقت القرنفل والرحان والورد ورشات بيه الدار باش تخبي رحمتو على عمي الغول!! جا الغول شم شي حاجا وقال: رحمة الناس ناس في بلادنا يا عبادنا؛ جاوباتو هاينة ...

ـــ " هههههه..." قهقه الفقيه مرة أخرى، التفتت اليه وصرخت "وا صافي ..."

الحلقة الثامنة: وصلات الخبار

ـــ "سيدي ابريس، سيدي ابريس" نطق أحدهم بخوف يتملكه أمام كرسي ملك الشر ابريس.

ـــ "شنوا عندك؟؟" حاملا كأس شرابه، كأس يحمله أربع من خدمه إن أرادوا ملأه، بصوت هادئ وشرير في آن واحد، "شنوا عندك ؟؟" بنظرات ملؤها التكبر والاحتقار ينظر باتجاه خادمه.

ـــ "عشتار أسيدي!!"

ـــ "مالها؟؟" ما أن سمع اسمها، حتى نهض من كرسيه وانحنى باتجاه الخادم مزمجرا خائفا أن يكون قد وقع ما يخشاه، خصوصا لاستحالة ما وقع في هذا الزمان.

ـــ "رجعات أسيدي ..." بخوف وارتجاف "... رجعات لشالة"!!

ـــ "كيفاآآش؟؟؟ رجعآات لشآآلة ؟؟؟؟؟" يفلت ابريس الكأس من بين يديه لينسكب على الأرض، يحمل الخادم الضعيف بأصبعيه الضخمين، ثم بصوت يعبر عن الكثير من الغضب قالها ورددها كثيرا وكأنه ينتظر من الخادم أن يسحب كلامه، أو ينفي أحدهم صحة الخبر لكن لم يحدث شيء مما أراده، أحكم ابريس قبضته حول الخادم المسكين وهو يختنق بين يده، ويطلق ضربات عشوائية يمينا وشمالا صارخا:

ـــ "طلق مني أسيدي، سيدي، سيدي طلق مني ..." ظل يستغيث ويتلوى بين أصابع ابريس محاولا إيجاد سبيل إلى النجاة من غضبه "...راه مازال الخدم أسيدي، إيلا مشات هي، كاين ما حسن أسيدي" في تلك الأثناء تجمع جل الوحوش الذين تكلم عنهم لاكتشاف سبب الصراخ.

ـــ "مايهمش؟؟ مآيهمش!!!!" يضعه ابريس بين عينيه، "واش ماعارفش هادشي شنو كيعني؟ وآاش ماعارفش؟؟؟" وهو يؤكد أن ما يغيظه ليس خسارة عشتار بعينها، وإنما إحساس الخسارة، فما دام هناك رجوع إلى عالم شالة إلا وهناك آدمي ما قد قضى عليها، وهذا ما لم يكن في الحسبان، يرفعه إلى أعلى ويرميه بكل ما أوتي من قوة وهو يصرخ ويزمجر غيظا بسبب ما أخبره الخادم به. يهرب الخادم بسرعة البرق، ثم يمر من أمام الزنزانة التي يحرسها الغول، زنزانة هاينة و أبي، حيث كان يحكي لها عن الفقيه الذي كان بعث له برسالة مع الغراب، طالبا مساعدته و أخبرها أن الفقيه لن يجعل الرسالة تقف عنده، في هذه الأثناء يقاطع حديث أبي صوت ابريس، تسأل هاينة الغول عن سبب غضبه فيؤكد لها أن هناك شائعات عن رجوع عشتار إلاهة الحب إلى عالم شالة، تلتفت ضاحكة بفضل الخبر المفرح، كأن ضوء الأمل المفقود من طرفها وأبي، أشرق أمامهما، ابتهج أبي أيضا بهذا الخبر فبدأ يصرخ داخل الزنزانة ويردد أنها ليست النهاية، وأن ابريس سيفقد خدمه مرة أخرى واحدا تلو الآخر كما يفقد الزمن دقائقه، هكذا أتى جنديان يأمران الغول بفتح الزنزانة لحمله نحو ابريس الذي أمر أن يأتوه به.

ـــ "هاهاها، ماعدكش الوجه تشوف فيا هاهاها!!" يمتثل أبي أمام ابريس، ويبدأ بالسخرية منه خاصة وأن ابريس كان ملتفتا إلى الحائط لكي لا يكشف عن وجهه وآثار الخيبة بادية على ملامحه القاسية، يلتفت ببطء و بمقلتيه الملتهبتين يسأل أبي عن السبب في القضاء على عشتار، و يسأله إن كان هناك من يعمل معه خارجا، يضحك أبي و يستهزئ من ابريس دون إعطائه جوابا محددا، يقفز ابريس قفزة واحدة يصادم بها الأعالي ويحط أمام أبي، وبسرعة يحمله من جسده و يضعه أمام عينيه كأنما يريد فصل وجهه عن جسده، يسأله مرة أخرى و الشر ينبعث مع كل كلمة يتلفظ بها، ورغم الألم الشديد الذي ألم بأبي وهو بين يدي سيد الشر، إلا أنه ابتسم بصعوبة مرددا كلمات ساخرة دلالتها أنه لابد أن يتخلص العالم من شرور ابريس طال الزمن أم قصر، و أنه لن يكون هناك استراحة حتى يتخلص العالم من شروره مرة أخرى.

" صراحة ماكيهمنيش، ما حدك نتا أو ولدك مازال حيين، مزال فرصة باش نحلوا باب شالة مرة أو جوج أو عشرة، أو نرجعوا، أو نزيدوا نرجعوا أو نعاودوا نرجعوا، حتا نساليوا حنا ولا نتوما" بضحكة غريبة، يكشر عن أنيابه ومزمجرا يخبر أبي أنه ووحوشه بأمان ولديهم فرص لامحدودة للرجوع ما دمت أنا وأبي على قيد الحياة، يخبره أبي وسط أنينه أني في أيد أمينة وأنه لن يستطيع الوصول إلي مهما تعددت محاولاته وتنوعت طرقه، كما يذكره أن هاينة أيضا تحمل مفاتيح الكتاب في دمها، و أنه ما دام الكتاب بين يدي أنا فإنه لا يستطيع مسها ولا أبي بشر، بدأ ابريس بالصراخ وكما فعل بخادمه في بادئ الأمر، رمى أبي بكل قوته نحو الحراس، ليحملوه نحو زنزانته.

ـــ "أو واخا نصيبوا نموتو واحد بواحد، هاداك لباب ماعمرك غادي تحلو" يخطف ذراعيه من بين الخادمين ويتقدم بشجاعة نحو ابريس رغم الآلام التي تشل أطرافه، يكون ابريس في طريقه إلى كرسيه حينذاك لكنه يلتفت بعد أن يتلقى سم كلمات أبي، يصرخ في وجه الجنود آمرا إياهم بحمله إلى زنزانته، تتصدع جدران الوكر من شدة الصراخ، ثم يحمل الجنديان أبي رغما عنه ويأخذانه نحو زنزانته.

ـــ "ماكاتخاآافش ؟؟" تسأله هاينة بعد دخوله وهي مرتعبة مما سمعت أذنيها، يجلس بصعوبة واضحة ثم يجيبها أنه من الحكمة أن يخفي ضعفه ويظهر قوته وعدم استسلامه في هذه الظرفية بالذات، يمسك ذراعه اليسرى من شدة الألم، تأخذها هاينة بين يديها لتجدها مكسورة، تأمره أن يرتاح قليلا وألا يفكر فيما يقع لأن الفقيه سيخلصهما من هذا البلاء لا محالة.

ـــ "بوحبآآس" بعد أن ينادي على أحد خدمه، يأتيه أربعة من حشمه بكأس من شرابه الأحمر وهو متربع على عرشه، يقترب منه مستشاره وذراعه الأيمن حاملا كتابا يظهر أنها رواية غموض للمحقق شارلوك هولمز، يسأله عما يخطط لفعله لمواجهة هذه المشكلة، يجيبه ابريس حاملا كأسه أن هدفهم الأول الآن تغير من الانتقام من البشر إلى الحصول على الكتاب مهما كان الثمن.

ـــ "بوحبآآس..." ينادي ابريس مرة أخرى ثم يكمل كلامه مع ساعده الأيمن "... أو خاصنا نعرفوا دابا فين يقدروا يوصلوا هادو لي صيدوا عشتار، باش نعرفوا تاحنا فين نزيدوا!!" يمتثل حينئذ أمام ابريس

رجل رقيق ممحي الملامح، مربوط اليدين حتى كتفيه، مكمم الأنف الفم، يأمره ابريس بتنفيذ مهمته، فيهم مغادرا من إحدى بوابات الكهف ويختفي ...

الحلقة التاسعة: مملكة التمار

ـــ "واو، واللّه تا بصح" مر يومان على قضائنا على الخادم الأول لابريس، عشتار، وها أنا أتأكد بأن كل ما قاله الفقيه عن الكتاب حقيقي، فجأة ظهرت صفحة بها عجوز شمطاء مرسومة، وقد كانت تحمل نفس صفات مجرمة الحب عشتار. قضينا تلك الليلتين في فندق متواضع بمدينة المحمدية لنبتعد عن أي احتكاك بالمحقق تفاديا للنقاشات الحادة معه، منتظرين أي خبر عن أي غريب آخر أو عن ابريس نفسه.

... ما كاين والو في الدار غير أنا! قال ليها: رلحة الناس ناس في بلادنا يا عبادنا! جاوباتو هاينة: غير رلحة الورد والقرنفل والرلحان وانا ... منين وصل وقت نعاس الغول شد شعر هاينة ولفو على رجليه باش ماتقدرش تنوض او تهرب، ولكن هاينة هاذ المرة دوات مع النملة الرقيقة وطلبت منها تفك ليها شعرها من رجلين عمي الغول فاش ينعس، وهكذا بدات النملة تسل ليها بالزغبة بالزغبة حتي فكاتها. طلعات ولد عمها من البطهورة ورشات الدار مرة ثانية بالخلطة اللي دقات وهربوا ...

ـــ "ولدي، وجد راسك راه تابعانا الخدمة" في تلك الأثناء كنت متكئا على سريري في غرفة الفندق وأنا أقلب صفحة كتاب شالة التي ظهرت عليها العجوز الشمطاء، وأستمتع بعذوبة صوت أمي على المسجل، أنتظر الفقيه ليأتينا بالغداء بعد العمل الذي حصل عليه في مسجد الفندق مقابل المبيت والمأكل، ولج فجأة الغرفة وهو يأمرني بالنهوض.

... لكن هاينة مادارتش لحساب الهراز اللي دقات فيه، كيف خرجوا من الدار بدا تيتهز حتي للسما ويتخبط مع الارض ويقول: طن في راس الغول.. افطن هاينة

مشات يا الغوال... ويتهز ثاني ويتخبط ويعاود طن في راس الغول.. افطن هاينة مشات يا الغوال ...

"وا وجد راسك، أو باراكا ماتبقا كاذب على راسك !!" يأتي الفقيه ويقطع صوت المسجل، أنظر إليه بالمقلوب نظرا لوضعية اتكائي (رجلي على الحائط ورأسي على السرير)، غيرت وضعيتي وجلست سألته إن كان قد أحضر معه ما أسكت به عصافير بطني، رمى علي بعلبة الطعام وآمرني أن آكل بسرعة لنخرج لأن طريقا طويلة جدا ما زالت بانتظارنا.

... فاق الغول من نعاسو وبدا يشهشم وتبع طريق هاينة ... تلفتات هاينة بانت ليها عجاجة كبيرة تابعاهم وفاش قربت العجاجة لقاتو الغول جاي لجري وراهم، وهي تعيط ناري يا ولد عمي الغول تابعنا وقرب لينا، اليوم لا انت ولا انا! لاح ولد عمها قفة البراوات، تغرسو في رجلين الغول وبقي ينقي فيهم حتي بعدو عليه ومنين كمل التنقية تبعهم ثاني، وفاش يقرب ليهم هاينة تقول ناري يا ولد عمي الغول تابعنا وقرب لينا، اليوم لا انت ولا انا! لاح ولد عمها قفة المخايط ... الغول بقي ينقي ينقي حتي بعدو عليه ومنين كمل تبعهم ثاني ... رمى ولد عمها قفة السكاكن وفلحو للغول رجليه مزيان وبقي ينقي ينقي حتي بعدو عليه ومنين كمل تبعهم ثاني ... رمى ولد عمها قفة الملح وفاش الغول مشا فوق منها مرقاتو في جروح رجليه ومابقاش قادر يزيد ...

بعد أن أكلت، غيرت ملابسي وأخذت حقيبتي، وضعت المسجل على أذني وانطلقنا باتجاه محطة الحافلات.

" مرة خرى ماغتسولنيش فين غادي ولا شنو كاين؟" كعادته حرمني من متعتي، عندما انتزع المسجل من يدي وأطفأه، نظرت إليه مظهرا تضايقي من تصرفاته، أمرته أن يشغله مرة أخرى، لكنه لم يبد لي اهتماما بل استهل كلامه:

ـــ "ڭبيلا فاش كنت فالكوزينة ديال لوطيل، كانت التلفازة شاعلة وانا كانتسنا لغدا يوجد، حتا دارو في الأخبار بلي ليوما صباح لقاو درية ميتة ففراشها" أجبته أن الناس يموتون في كل مكان، وأغلبهم على فراش النوم، فما علاقة هذا بقضيتنا، هنا أكمل:

ـــ "عرفت ولكن المشكل ماشي فالدم لي مالقاوهش الخارج المشكيل فلداخل" لم أفهم كلامه، لدى نظرت إليه نظره استغراب، عندها أشار إلى الحافلة منبها إياي بالوصول إلى المحطة، أخدنا تذكرتين نحو وجهتنا، ركبنا واستلقينا كعادتنا نائمين في الكراسي الخلفية على أصوات شريط أم كلثوم، كيف لا وهو الشريط الوحيد الذي يملكه العم المختار.

شوارع نظافتها جعلتني أرغب في المكوث بها، منازل بساطتها وقصر سقفها جعلتني أنسى مسقط رأسي الرباط الذي يخنق الأنفاس بكثرة سكانه وبناياته التحتية المبالغ فيها، رونقها الأحمر وجبالها المحيطة بشمالها غمراني بشيء من الابتهاج الذي خفف من عبء التفكير الدائم في المهمة شيئا ما، ثمارها المجتاحة للأسواق أكدت لي غناها، مدينة عرفت بهدوئها وسلامها عبر الأزمان، مدينة الراشيدية، المدينة التي ستتم فيها مهمتنا الثانية

.وصلنا بعد حوالي 5 ساعات من علمنا بالقضية، كان اليوم يشرف على انتهائه والشمس تتهيأ للغروب، كنت أتساءل طوال الطريق عن مقصده من كلامه عن الدماء، ولاحظ هو تساؤلاتي على مر الطريق لكن كان يستمر في ابتسامته الخالية من أية إجابة كأنه ينتظرني أن أسأله بالرغم من خجلي من كثرة الأسئلة، هكذا

عندما وصلنا، ذهبنا إلى بقال ابتعنا ما سمحت لنا امكانيتنا المادية باقتنائه، فجأة وأنا أحط كأس الحليب على شفتي صدمني بقوله :

ـــ "الضحية لي لقاوها ميتة ليوما صباح، ماشي مالقاوش الدم خارج منها، ولكن مالقاوهش لداخل تاهوا، ڭاع العروقة لي فيها لداخل لقاوهم..." صمت متحسرا، رمى اللقمة في فمه "...خاوية من الدم"، وأنا أضع الكأس على الطاولة نظرت إليه نظرة مطولة لعله يزيل استغرابي الظاهر والمتوقع، كيف يمكن أن تكون فارغة تماما من الدماء؟ لكن جوابه زاد من دهشتي أكثر :

ـــ "المشكيل مالقاو فيها حتا جرحة في الجسم، بلاصة وحدة كانت حمرة، هي عنقها...

الحلقة العاشرة: ليلة في مسرح جريمة

دقت الساعة التاسعة مساءً، جمع كتبه وأوراقه وتوجه نحو المطبخ، تناول موزة ثم خلد إلى النوم.

ـــ "شكون هنا؟" أحس بأنه ملاحق بمنزله، لكنه لم يجد شيئا فظن أنها تخيلاته. ذهب ينظف أسنانه، فإذا به يلمح خيالا متوجها نحو غرفته، يلتفت مرة أخرى وينادي :

ـــ "شكون هنايآ؟؟" يتوجه مسرعا نحو غرفته، يجد المدرج الأوسط لخزانته شبه مفتوح، يبحث فلا يجد شيئا، يفترض في قرارة نفسه أن السبب هو التيار الهوائي ربما، يغلق فينتبه إلى ظل ما داخل خزانته من خلال مرآة النوافذ، يلتفت مسرعا ليرى أن الباب ما زال مفتوحا إلى نصفه فقط.

ـــ "باين ليا الخلعة ديال لباك لاعبة بيا، بفف!!" يغادر ولا يعلم أن ما رآه لم يكن تخيلات ولا مخاوف، بل هو كائن يترصد الوقت المناسب للانقضاض عليه، هكذا يكمل الطالب أمين واجباته قبل النوم، ويستلقي باكرا ليستيقظ باكرا ويعود إلى تحضيراته التي تسبق امتحان الباكلوريا ...

ـــ"كيف غانديروا تاندخلوا؟" متوجهون نحو مسرح الجريمة الجديد، طالب باكالوريا قتل على فراش نومه، دون وجود دليل غير طبعة حمراء على عنقه في حين أنه لا وجود للدماء لا داخل شراينه ولا على جثته، كان همي الأول هو معرفة كيفية اقتحام مسرح الجريمة خصوصا أنها داخل المنزل .

ـــ"ماتخافش، حنا المغاربة فيما كانت شي فضيحة تلقانا مجموعين، كون غا مغربيي أو نضمن ليك العيشة الساهلة" فهمت القليل من كلامه، و كما قال عندما وصلنا وجدنا نصف سكان الحي داخل منزل الضحية، كل واحد منهم يحاول تحليل الجريمة على هواه، هنا انتبهت إلى الشرطة من الجهة الأخرى تحيط بداخل و خارج الغرفة ، كانت الجثة مغطاة تماما بثوب أبيض، بدأنا نفكر كيف يمكننا ولوج الغرفة وتفحص الضحية عن قرب، اقترحت على عمي المختار أن يفعل كالسابق، لكنه أكد لي أن الخدعة لا تستعمل مرتين في مثل هذه الحالات، فكرت في خطة بسيطة آنذاك فأمسكت بخنجر الفقيه وأنا أحاول إخراجه من غمده، حاول الفقيه منعي مستغربا من هذه الحركات الطفولية التي بدرت مني، لكنني أصررت على إخراج الخنجر، فما كان منه إلا أن دفعني بكل ما أوتي من قوة لأتراجع بسبب قوة الدفع الهائلة وأسقط مباشرة بمكان الضحية ساحبا الغطاء من على جثته ، تارت ثائرة رجال الشرطة عندما رأوني داخل مسرح الجريمة أعطل عملهم هناك، لذا نهضت مسرعا حاملا الغطاء لأرجعه فوقها .

جسد أبيض كبياض الثلج، جاف كورقة خريف، عروق خضراء منتفخة، واضح جدا خلوها من قطرة دم، لفت انتباهي أيضا الزرقة الشديدة على مستوى الفم، الأنف والأذنين، وضعت عليه الغطاء وأنا منبهر من هول ما رأيت، خصوصا خلوه من الدماء، انتبهت أيضا إلى الزرقة الشديدة في أصابعه والبقعة الحمراء على عنقه، كأنه كان مكبلا بالأصفاد، خرجت مسرعا من الغرفة، تراجعت

بعيدا عن الناس، تبعني الفقيه، همست له واصفا المنظر المرعب الذي رأته عيناي .

ـــ"على هاد الحساب مات مخنوق، الزروقية لي دايرة فوجهوا، أو فصباعو كيبينوا هادشي، ولكن ..."

ـــ "أو لبيوضة لي دايرة بيه كلوا؟ وهاديك لعيبة ديال العنق؟" قاطعته وهو يفكر فيما كنت أتساءل عنه :

ـــ "دابا الدم خاصنا نعرفوا إلى ماخرجش فين مشا؟ أو شنو جاب هاديك الحردة ديال عنقوا لهدشي؟ " هنا بدأنا نفكر في البحث عن علاقة الضحيتين ببعضهما، اتجه الفقيه اتجاه أحد الشرطة وأخبره بأنه سمع بوجود حادث مشابه لهذا تماما، أكد له الشرطي كلامه قائلا أنهم لم يتوصلوا إلى شيء البتة و لم يعرفوا الرابط بينه و بين سابقه بعد، حينها أتى شرطي مسرعا تلحق به سيدة في الثلاثين من عمرها، فهمت من كلامهما مع المحقق أنها مديرة لمركز ما، و أنها تعرف الضحيتين، وهما تلميذان لديها، هنا توجهت إلى الفقيه وقاطعت حديثه مع الشرطي وأخبرته عما سمعته، لحق بالمديرة التي كانت ستهم بالرحيل، أمسكني من يدي مسرعا نحوها، أخذنا الدرج نحو سيارتها، أوقفها بالسلام، ردت عليه السلام، و سألته عن بغيته :

ـــ "ما ديش عليا ا للا جيتك فهاد الوقت، سمعت بلي راك مديرة ديال شي سكويلة ديال الامتحانات أ للا "

ـــ "مافهمتش أ سيدي شنو مقصودك؟؟ "

ـــ "ماديش عليا أبنتي ماقاريش أو ولدي قربوا عليه الامتحانات، أو سمعت بلي كاتعونيهم فحفاظتهم أو بغيت ندخل ولدي عندكم"

ـــ "اييه أسيدي، مرحبا، ولدك فاش كيقرا؟ "

ـــ "آاه، بحال الدري الفوقاني اللّه يرحموا" أعطته بطاقة حينها تحوي معلومات عنها، ثم ضربت له موعدا في صباح يوم الغد، ركبت السيارة وانطلقت، عندها أمرني الفقيه بأن أكون تلميذا نجيبا وأنسجم لنستطيع الكشف عن سر هذه الجرائم المتوالية.

... عيط الغول على لعاينة وقال: وآ لعاينة نتصرف ليك زيف! .... جاوباتو لعاينة: ما ندير وش! قال ليها: نتصرف ليك دبليج! .... جاوباتو: ما نهزوش! قال ليها: نتصرف ليك مجدول! .... جاوباتو: ما نتحزمش بيه! قال ليها: نتصرف ليك شربيل! .... جاوباتو: ما نلبسوش! قال ليها: نتصرف ليك طير! .... جاوباتو: ما نقربش ليه! قال ليها: وآ لعاينة الطيور إيلا لقيتيهم مضاربين في السما ما تفكيهمش ...

دخل الفقيه غرفة الفندق ووجدني نائما على صوت المسجل، أطفأ المسجل ووضعه في محفظتي وهو يردد:

ـــ "اللّه يرحمك الحاج عدنان، بحالك بحال حفيدك، آآآآاه" يستلقي وينام وهو يبتسم ابتسامة حنين إلى الماضي، أغمض عينيه وغاص في ذلك بكل شوق...

الحلقة الحادي عشر: مبيت مجاني

ـــ "إذن سيدي ما قلتي عيب، حنا ماكيهمناش لمدينة أولا لبلاصة لي كيقرا فيها لولد، كثر ما كيهمنا أنه يكون فظروف ملائمة تساعدوا على اجتياز الامتحان" بعد ليلة طويلة من الكوابيس الدموية التي كانت أحداثها تدور حول أبي، استيقظت على صراخ الفقيه كعادتي، لكني سعدت هذه المرة بسماع صوته لأنه خلصني من الأحلام المزعجة و الإحساس بالندم الذي يلاحقني ولو كان هذا الخلاص لمدة وجيزة، تناولت فطوري في طريقنا إلى مركز تهييئ الطالب لاجتياز الامتحانات النهائية، و كما وعدتنا المديرة استقبلتنا استقبالا حسنا في مكتبها محاولة تفهم وضعنا الغير المستقر من جهة، و ومتأثرة بادعاءات الفقيه من جهة أخرى، و الذي أقنعها تماما أنه جاء لظروف مفاجئة من مدينة الرباط، وصحبني معه لأنني الوحيد الذي تبقى من عائلته.

ـــ "اللّه يرضي عليك أبنتي، أو كوني متأكدة اللّه عمروا يضيعك أبنتي" كانت كلمات الفقيه المعسولة وكبر سنه إلى جانب هيئته التي تحيل على الوقار والحكمة، عواملا مساهمة في عملية إقناع المديرة بكل حرف تلفظ به.

ـــ "ربي يخليك أسيدي، أو بالنسبة للوثائق، تاهوما يقدروا يتأجلوا حتى ترجعوا لمدينتكم إن شاء اللّه، حنا صابرين أسيدي، غير إن شاء اللّه ..." تنظر إلي وهي مبتسمة كأنها تستبشر بي خيرا "...نتسناو نتائج تكون مرضية أولا لا؟" احمر وجهي خجلا رغم أن سمرتي لم تترك للخجل مكانا للظهور سوى ملامح دون ألوان،

بعد ذلك أخذتنا المديرة في جولة داخل جنتها، و ما وصفتها بالجنة إلا و هي كذلك، فمن غرف الدعم و الدروس إلى قاعات الترفيه و الألعاب، و من المطبخ الذي يختار لهم أشهى المأكولات و أكثرها منفعة إلى غرف النوم التي تعطي للراحة أهم دور في هذه المسيرة الجهادية نحو الامتحانات، و من الحمامات المنعشة إلى المسجد مما يظهر أن المركز لا يهمل دور العبادات و الدروس الدينية، جعل مني هذا وذاك أتخيل نفسي وسط جنة تمنيت العيش فيها حياتي كلها و ليس فقط إلى حد الانتهاء من المهمة.

ـــ "اللّه ريحتيني أبنتي، اللّه يرضي عليك، الصلاة ثم الصلاة أبنتي، فرحتيني اللّه يفرحك" ولجنا المسجد تغيرت ملامح الفقيه كأنه يخطط لشيء آخر، وكيف لا وهو الذي اعتدت منه استغلال أصغر الفرص لصالحه، كان يخاطبها ويحسسها بالفخر كأنما يريد جرها إلى فخ آخر من فخاخه.

ـــ "ربي يخليك أسيدي، هادا فخر لينا، واحد من الأهداف ديالنا أننا نخليوا الجانب الديني كيلعب دور مهم في حياة التلاميذ نظرا لكوننا دولة مسلمة" كانت السيدة المديرة فخورة حكيمة في اختيارها لمرافق المركز، فكان كل مرفق يساعد ويساهم في جزء من تكوين الطلاب، سواء الذهني، العقلي أو النفسي وحتى الروحي، هكذا سألها الفقيه متعجبا:

ـــ "امم، فين هوا الفقيه ديال الجامع أبنتي، كيظل فدارو؟ وقت الظهر راه قرب !!" كان يسألها منتظرا نفيها، وكان ما أراد، فقد نفت المديرة وجود فقيه بالمركز، لذا فإن الأذان والدروس كلها

معتمدة على البرامج التلفزيونية والأنترنيت فقط، هكذا ابتهج الفقيه تحت حسرته الكاذبة على عدم وجود فقيه.

ـــ "اللّه يصاوب ليكم أبنتي!! ماتخافيش لي ناوي الخير عمروا يخيب!!" تقدم الفقيه ليكمل جولته في المركز لكن المديرة طرحت عليه فكرة كانت بغيته في بادئ الأمر وسألته إن كان يستطيع تعويض البرامج واستبدال الصلاة الفردية بصلاة جماعية، تظاهر مرة أخرى بأنه منصدم من ثقتها به، وأضاف أنه يمكن أن يضيف فقرة جديدة إلى الشبان بتقريبهم إلى الحضارة المغربية بقصصها وأساطيرها المختلفة، فرحت المديرة بهذا العرض المغري وشكرته كثيرا وذكرته بظروفه في المدينة، فأجابها أنه يمكن تأجيلها أمام احتياجات الشبان، وأن هذا أقل ما يمكن فعله مقابل كرمها الشديد لنا.

ـــ "شكرا واللّه أسيدي، قوليا شنو نقدر ندير باش نعوضك على هاد الجميل ديالك؟"

ابتسم في وجهها الفقيه وسألها إن كان بإمكانه المكوث ليلا لكونه يفضل ترك قصصه قبل النوم لتكون لها حلاوتها الخاصة، لكنها خيبت أمله عندما قالت بأن المركز يفرض على تلامذته النوم بعد صلاة العشاء مباشرة وأن بعض التلاميذ لا يقطنون بالمكان عينه، فقط أصحاب المنازل البعيدة والتي تقع في نواحي المدينة لهم حق المبيت بالمدرسة، حينها ظهرت ملامح الخيبة على وجهه لكن المديرة أنقذت الموقف:

ـــ "يمكني ندير حالة خاصة معاك، يمكن ليك ظل معانا حتى نهار كامل إيلا بغيتي، هاهو الجامع بين يديك أسيدي، أو المأكل أو المنام ديالك ليوما يوجد إن شاء اللّه، أو القصص ديالك يمكن ليك تخليهم من ورا صلاة العشا" ابتسم الفقيه وشكرها جزيل الشكر على معروفها، أرسلني إلى قسمي، وأكمل جولته معها داخل المركز ليستهل موضوعه:

ـــ "بالنسبة للتلاميذ دياولك أبنتي، ما تخلعوش من هادشي لي جرا هاد ليوماين؟"

ـــ "غادي نكذب عليك إيلا قلت ليك أنا براسي ماخلعنيش هادشي، كانوا التلاميذ مخلوعين ولكن حنا دابا فمرحلة حاسمة أمام الامتحانات، هدشي علاش كنحاولوا نديروا ما فجهدنا باش نبعدوهم من أي أفكار سلبية"

تحسر الفقيه على ما حدث أيضا، وسألها إن كانت تظن أن مركزها مستهدف أو أن لها أعداء معينين، لكن جوابها جاء نافيا فرضية الفقيه إذ أكدت له أنها مسالمة إلى ابعد الحدود وليست من النوع الذي يبحث عن عداوة أحدهم، و إن كانت مستهدفة فإنها تتمنى أن تجد الحل بسرعة لحماية تلاميذها، هكذا اقترح عليها العم المختار حلا يمكن أن يحد من المشاكل وهو فرض المبيت في المركز وأنه سيبقى مستيقظا ليسهر على حمايتهم، نظرت إليه المديرة نظرة ملؤها التعجب، كيف لعجوز في سن عمي المختار أن يفعل كل هذا دون مقابل، لكنه ابتسم في وجهها :

ـــ "بنتي أنا كبرت أو عمري فنيتوا فوق الحصيرة، ماشي عيب نهار ولا جوج نحس براسي درت شيحاجا مفيدة فحياتي" قالها وهو لا يقصد أي كلمة خرجت من فوهه، لكن رغبته في حمايتنا وإيقاف الشر كانت أقوى من أن تجعله يقول الحقيقة، ففضل شعور الشفقة مقابل حمايتنا.

... كهلات هاينة طريقها وولد عمها وكل مرة تلقى حاجة وما تهزهاش حتى جاو واحد الطيور فوق راسهم وبداو مضاربين ... بغا ولد عمها يفكهم وما خلاتوش ولكن نزل وفكهم، وهو يسرطو واحد الطير!! وبقات هاينة تبكي عليه ...

ـــ "عمي، جاني النعاس، تسمح ليا نمشي"

بعد قبول المديرة لغرض الفقيه فرضت على الجميع المبيت في المركز، انتهى اليوم الدراسي، كان ترفيهيا أكثر منه دراسيا، و بعد صلاة العشاء جمعنا الفقيه ليسرد علينا إحدى الحكايات الأسطورية المغربية، رجوته كثيرا أن يحكي قصتي المفضلة، قصة سجينة قلبي هاينة، كنت و هو يرمي كلمات الحكاية أتخيل شفتي أمي تتحرك و أستمتع بالقصة بطريقة مضاعفة، استمر الفقيه في سرده حتى نهض أحدهم لينام، نصحه الفقيه أن ينتظر حتى يذهبوا جميعا، لكن التلميذ طمأنه بأن مكان نومه في الجهة الأخرى من حائط المسجد، و أنه سيطرق الحائط إن جرى أي شيء، فكر الفقيه قليلا، أومأ إليه بالموافقة ثم أكمل قصته :

... من بعيد بان ليها واحد السارح مع قطيع غنم وكلبة ... شدات هاينة الكلبة ذبحتها وسلخت جلدها ولبساتو، وهكذا هاينة من فتاة جهيلة تصرفت وولات كلبة وقادت

الجواد في جيهة السارح! وكيف شاف الحصان تعجب... رجعات هاينة مع السارح للدار وهي قايدة الجواد بداو تيقولو: يا حليلي كليبتنا جابت لينا حصان!! ...

ــ "آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآععععععععععع... "!!! ....

الحلقة الثانية عشر: عملية إنقاذ

ـــ "آمالك ؟؟" ولجنا غرفة التلميذ، وجدناه بالكاد يتنفس بسبب فزعه مما رآه أمام مرآة خزانته.

ـــ "والوا ههه، صحبت راسي شفت شي حاجة فلمراية ههه، سمحوا ليا ههه"

هدأ الفقيه من روعنا وأمرنا بالرجوع إلى أماكننا، فقد جل التلاميذ حماسهم لسماع تتمة القصة التي كان الفقيه بصدد سردها على مسامعنا، أثقل النوم جفونهم وذهب كل واحد منهم للخلود إلى فراشه بحثا عن نوم مريح، فقدت حماسي أنا الآخر، اتجهت نحو الباب لولوج غرفتي، فاجأني منظر مخيف بالنافذة، صورة لشاب ملثم الوجه دون ملامح معينة، أدرت وجهي بسرعة نحوه، فبدا لي أنني كنت أتخيل فقط، لم أعر الأمر أهمية كبرى، توجهت إلى المرحاض لأغسل وجهي وأنظف أسناني، توجهت بعد ذلك إلى غرفتي. مررت بباب المسجد، لمحت العم المختار ما زال داخله يتمم عمله، دخلت دون سابق إنذار فإذا بي أجده يرتب صندوق جدي الأحمر وينظف محتوياته جلست بجانبه، اتكأت على الحائط واستمررت في مراقبته، وكانت كل لعبة يخرجها من الصندوق ليمسحها تذكرني بما اقترفته يداي فيجعلني ذلك أحس بالكثير من الندم والذنب.

ـــ "هادشي قدام أو هرف عليه الزمان، ماتجبدش من هاد الصندوق من يامات جدك اللّه يرحموا" نظر إلي وأحس بحزني لذا أراد أن يفرج

همي قليلا، نظرت إليه دون أن أنطق بحرف واحد، استمر في محاولاته لكسر حاجز الصمت بيننا، اقترب مني وهو يحمل عصا معدنية غليظة يمسحها وينظفها، كنت عندها أقاوم رغبة شديدة في البكاء، أحس باختناقي، وضع العصا جانبا وضمني إلى صدره:

ـــ "هههه، عارفك كتحس بالذنب، عارفك كتلوم راسك على أي حاجة، ولكن ولدي ... ماكتشوفش بلي كلشي كيجرا لواحد السباب، واش مكتشوفش تاحاجا مكتجي هوكاك، شوفها من الجهة المضوية ديما، نتا سباب فخروج هاينة، نتا سباب فرجوعي لهاد لحياة، عطيتي لراسك فرصة تتعلم أو تحوم لبلاد من بلاصة لبلاصة، شوفها أ ولدي ديما من جهة المضوية، ماعرفتي ليام آش مخبية لينا ..."

لم أستطع تجاهل كلامه، كانت أفكاري السلبية سببا في همومي كلها، وكلماته كانت النقطة التي أفاضت كأس دموعي، استسلمت على صدره منهارا باكيا أصرخ:

ـــ "ما غاتحسش بيا أعمي، ماغاتحسش بيا، ما عارفش شنوهوا الإحساس ديال دير أي حاجة قالها ليك راسك أو بكل أنانية تخرج على حياة الوحيد لي بقا ليك فعائلتك، أو الأكفس من هذا ... "

رغم صراخي وبكائي الشديدين إلا أنه استحملني، حملني ووضع وجهي الذابل وعيناي المنفوختان أمامه وقال بكل حنان وصبر:

ـــ "...أو الأكفس من هذا هو نحطوا سلاحنا من دابا، ليعطى اللّه عطاه ماعدك مادير، شنو دابا غاتوقف أو غاتخلي دنيا تخياب كثر

ما هي خايبة؟؟ بالعكس إيلا كنتي سباب باش يخوى نص ديال الكاس، عمر نتايا جوج كيسان خرين..."

نظرت إليه بوجه ممتن، كلماته المشجعة هزمت أفكاري السلبية، بالرغم من يأسي وحزني الشديدين إلا أنه قد جعل فرائصي ترتعش بكلماته التي لامست كياني، هكذا أخذت العصا بجانبه، ابتسمت ابتسامة مليئة الدموع وسألته محاولا تحسين جو الكآبة الذي خلقته:

ـــ "هاد العصا مثلا أش كنتوا كاديروا بيها؟ ههه كاديروا الفالاقا الوحوش ههه، ... ناري حماضيت" كان صوتي الباكي أكثر إضحاكا من كلامي لكنه أجابني:

ـــ "لا، كنا كانسلخوا بيها البكايا، نوض اللّه يرضي على ولدي تنعس نوض "

ـــ "حمض مني"

اتجه نحو الصندوق ليغلقه ويذهب إلى النوم، سمعنا طرقات خفيفة على الحائط، حسبناها في بادئ الأمر تقلبات أحد التلاميذ النائمين، لكن تكرارها بنفس الطريقة كان له وقع على فهمنا، أسرعت أنا والفقيه إلى غرفته وأشعلنا المصابيح، فإذا بالتلاميذ يتذمرون من ازعاجنا لهم، لكنهم صدموا كما صدمت أنا، منظر مهول أمام عيناي فوق السرير الأعلى على الحائط، أحد التلاميذ يحاول ضرب الحائط بيده اليسرى، مقلتاه تكاد تخرجان من محجريهما، وجهه يزداد زرقة شيئا فشيئا وتنسكب من عنقه الدماء الحمراء، كان الطالب يختنق دون أن ينتبه له أحد، حتى

المعتدي ما كان يظهر، استمر التلاميذ في الصراخ خوفا من هذا المنظر، أخذ الفقيه العصا من بين يدي ثم صوب اتجاه صدر الطالب، لكن الضربة لم تكمل مسارها كونها اصطدمت بشيء ما، هنا أدركنا أن هذا من فعل أحد خدم ابريس، وأنه لا يظهر للأعين البشرية.

لما ضرب الفقيه الوحش، استرجعت الضحية أنفاسها، أرجع بعضا من الدماء من فمه، مما جعل وجه الوحش يتلطخ قليلا، بدأ الوحش يلتفت يمينا وشمالا محاولا فهم ما حدث، وجه دون ملامح، لا فم ولا أنف للتنفس بل عينان مقلتاهما يخرج سوادهما بأميال عن الجحر، هكذا التفت إلينا بعينيه الجاحظتين المملوءتين بالدماء، حرك وجهه بسرعة يمينا ويسارا حتى أزيلت الدماء من على وجهه وعاد إلى طبيعته المختفية ثم قفز بيننا محاولا تجاوزنا للهروب.

صرخ الفقيه محاولا إغلاق الأبواب لكن كان قد رحل ولم يترك أي أثر له، حمل الفقيه العصا وحاول أن يتبعه، لكن، دون جدوى.

ـــ "إيلا جاو البوليس، تاحاد مايقول شنو شاف ولا تشوف، راه ماغايتيقوكمش، أوغنصدقوا ماشين فيها كاملين"

حاول الفقيه إخافة الطلاب لكي يبقى ما جرى سرا ولكي نبحث عن الحل دون إزعاج، وصلت سيارة الإسعاف، حملت الطالب إلى المستشفى، رافقته والفقيه وتركنا الشرطة يحققون في المكان. لم نعلم ما أخبرهم التلاميذ لكن يبدوا أنهم أنكروا تماما معرفتهم بتفاصيل ما حدث، بعد ذلك أتى شرطيين مع السيدة

المديرة، وكانت فزعة للغاية بسبب ما حدث، جاءت مسرعة نحونا تحاول معرفة ما جرى، لكن الفقيه طمأنها بأن الطالب في غرفة الإنعاش لإعطائه الدم والأكسجين وأنه سيكون بخير بحول اللّه.

ما كادت الشرطة تنتهي من التحقيق معنا الذي لم يفدها بشيء بسبب تظاهرنا بعدم معرفة تفاصيل ما حدث، حتى أتى الطبيب يبشرنا باسترجاع الطالب لوعيه، هرولنا نحوه والمديرة، عانقتها والدموع تنهمر من عينيها لخروجه سالما من هذه الورطة، عندما اقتربنا لنطمئن عليه، غير نظرته وما كاد أن يرمي كلمته الأولى:

ـــ "ما تخافش أولدي، غير تهدن أنا نشرح ليك كلشي"

انتبهت المديرة إلى تغير الجو المحيط بها، تساءلت عما يحدث، أخذنا كرسيين واقتربنا من المديرة، سألها الفقيه إن كانت تتذكر ما قلناه أول ما أتينا إلى المركز، وكان جوابها بالإيجاب، اعترف لها الفقيه عندها بأن جل ما قيل كان محض كذب، أصبحت ملامح وجهها أقرب الى الامتعاض وتقدمت مهتمة لمعرفة ما يجري:

ـــ "أنا أللا فقيه، وخدمتي نصلي بالناس ونوقف ليهم على جوادهم، ولكن "...

ـــ "خالتي أنا أو عمي لمختار كنحاولو نصلحوا الخطأ ديالي، كنت طلقت خدم ابريس كاملين هنايا، أو واحد منهم هو لي كيقتل فالدراري"

لاحظت عصبية المديرة وبطء الفقيه في السرد، فاختصرت الكلام وحكيت لها ما جرى، تغيرت ملامحها، تحولت من عصبية

إلى ملامح السذاجة والبلاهة، كيف لا وهي لم تصدق ما قلناه، وعيها، مجالات اهتماماتها الفكرية والثقافية لم تترك لها مجالا لتصديق ما حدث، تكلم الفقيه:

ـــ "بنتي، ماقلتش ليك تيقي، أنا خدمتي كانديرها، أو طولنا، سمحي لينا لالة..." تركها وسط حيرتها وأمسكني من ذراعي وجرني خارج الغرفة للعودة إلى المركز.

ـــ "آشنو بان ليك أعمي المختار؟"

بدأت في طرح أسئلتي حول القضية ونحن في طريقنا نحو بوابة المستشفى، لم يجب عن تساؤلاتي، ابتسم في وجهي وظل ينصت إليها واحدا واحدا، خرجنا من المستشفى وملامح الاستماع والاهتمام تغمر وجهه، ما فتئت أن أنهيت كلامي حتى قاطعني:

ـــ "هانتا سولتي، خسرتي شيحاجة ههه..." ربت على كتفي وهو يردد هذه الكلمات التي تظهر تفاؤله من الوضع ثم أكمل "... اللّه يرضي عليك أولدي ."

في تلك اللحظة قررت عدم التراجع مهما ساء الوضع، سمعنا صوت سيدة تنادينا من بعيد "عدنآن... سي المختآار... عدنآآن ... "، التفتت فإذا بي أرى المديرة مهرولة نحونا، وما إن وصلت حتى همت بكلامها المبشر:

ـــ "أنا موجودة ... فاش بغيتوني نعونكم "!...

الحلقة الثالثة عشر: مزاح مؤلم

بعد أن عرضت علينا المديرة مساعدتها، واعتذرت على ما بدر منها، توجهنا إلى غرفة المريض، وجدنا أن الشرطة قد انتهت للتو من تحرياتها معه، وكما نصحته المديرة لم يتفوه بالحقيقة كاملة، واكتفى بتأكيد عدم رؤيته لوجه المهاجم ولما دق على الجدار هرب ولم نجد له أثرا، هكذا عندما ولجنا اقترح الفقيه إرجاع المريض إلى المركز لكيلا نكون سببا في أي مشكل داخل المستشفى ولما اقترحت المديرة ذلك على الأطباء، وافقوا على إعطائها رخصة الخروج شريطة أن تتم العملية بعد شروق الشمس .

... في كل ليلة كان تجي الطير وتحط فوق الدار ويقول: وا هاينة واش عشاك الليلة؟ تجاوبو: عشايا النخال وركّادي بين الخوال. يقول الطير افرح آقلبي افرح ويطير ويزيد ... أو فكل ليلة كان تجي، حتا ضبر الجار السارح بدكشي لي جاري، وعس عليها وسمع وشاف بعينيه كلشي. الليلة التالية قال لراتو عشي هاذ الكلبة بالفتات «ترید، وركّديها بين البنات ... في الليل جا الطير وقال: وا هاينة واش عشاك الليلة؟ جاوباتو: عشايا الفتات وركّادي ما بين البنات! جاوبها الطير: افرح آقلبي افرح ... وطار وزاد ...

توسدت مذياعي فوق الأريكة داخل غرفة المريض وتركت الفقيه والمديرة يستعدان أيضا للنوم في الساعات القليلة الباقية قبل شروق الشمس.

ـــ "ما حسيت براسي حتى لقيتوا طالع فوق مني، أو بكثرة ما تخنقت حتى الصوت ما قدرت نخرجوا"

بدموع الحرقة يحكي الطالب الذي نقلناه للتو إلى غرفة التمريض بالمركز يحكي و يصف لنا ما جرى، كيف صعد الوحش فوقه، و كيف لف يديه على جسده الهزيل، ثم كيف أن يديه لم تكن تشبه يدي كائن بشري من حيث الملمس، فقد كانت مثل الأصفاد الحديدية، كل ما كان يفعله الفقيه هو الإنصات باهتمام و محاولة مطابقة المعطيات مع أحداث ماضيه، لكن دون جدوى لم أنتبه إلى معظم كلامه فقد أثارتني الغرفة التي نقلنا إليها الطالب بما فيها، وجعلتني منبهرا بجمالها وبياض طلاء جدرانها الذي يبعث على الراحة والاطمئنان، كما لفتني وجود آلات متعددة، والتي لم أكن أعرف وظيفة أي منها، فكان فضولي دافعا لي في استكشاف الآلات الطبية ووظائفها.

بعد دقائق قليلة من مباشرتي لتفقد الآلات، بدأ التلاميذ في الولوج إلى المركز لاستطلاع الجديد، رغم أن المديرة أمرتهم بأخذ استراحة لهذا اليوم، لكن بعضهم فضلوا زيارة المريض، لم أعر أدنى اهتمام لوجودهم، بل أكملت عملي في استكشاف الآلات التجهيزية، وصلت إلى آلة أثارت فضولي بالرغم من صغر حجمها، كانت تشبه المذياع كثيرا، تحوي أزرارا محاطة بأرقام وعلى جانبيها ذراعان مربوطان بها بسلك كهربائي يشبهان كواية الملابس.

ـــ "لا.. لا.. عدنآان، راه دايزا فيه لاماص" ما إن وضعت أناملي على هذه الآلة حتى صرخت بي أحد طالبات المركز تنبهني من الخطر، لكن كان الأوان قد فات، لمست أصابعي الآلة، فأحسست بوخزة مؤلمة جعلت مني أقفز متراجعا ثلاث خطوات إلى الوراء.

ـــ " آاي..." أحسست برعشة تسري بسائر جسدي، أتت الفتاة مهرولة تمنعني من لمسها، سألتها عما أصابني وكان جوابها أن هناك تماس داخل الآلة، وبالرغم من أنني لم أدرك ماذا تقصد بكلمة تماس إلا أنني سألتها عن وظيفتها.

ـــ "هادي آلة ديال إنعاش القلب ..." حملت الذراعين بيديها "... ملي شي واحد كيوقف ليه قلبوا، ولا كيزمت عليه أو كتكون فرصة لإعادة الإنعاش، كتدير ليه هادو على صدروا، أو الضو لي فيها كيخلي القلب يتحرك عاوتاني أو يستاعد النشاط ديالو" مدت لي الذراعين لأمسك بهما، تخوفت ببادئ الأمر لكنها طمأنتني أنهما مغلفان بالبلاستيك لتفادي المتماسات، أمسكت بالذراعين وحاولت تفحصهما.

ـــ "آآاي ..." أصرخ من شدة الألم مرة أخرى جراء صعقة كهربائية أخرى، نظرت إلي الفتاة من جديد، أمسكت بيدي وبالآلة في وقت واحد فقفزت من مكاني.

ـــ "هاهاهاهآهاهاها... ناري بزآاف، صباطك تاهوا مداير لمزيان هههههههه" لم أفهم ما حدث لدى سألتها. "لاماص لي فيه كتخلي ليقاصوا كيضربوا الضو، أو كيمشي لأقرب طريق لشي مقاوم أو موصل ديال الضو، فهاد الحالة كنتي أقرب طريق معا لابس صباط ضاير بالحديد، أو فوق الأرض مباشرة أو هادشي خلا الضو يديرني طريق باش يضربك نتا آخر موصل معا الأرض" أتممت لي شرحها مستهزئة من جهلي بهذه الأمور، وبختها المديرة ثم أمرتني بالذهاب إلى غرفة الطالب والبحث في خزانته عن حذاء منزلي.

... فكر السارح اشنو يدير فاش شاف وسمع للمرة الثانية، وافتاو عليه الناس باش يعرض على الطيور كاملين ويزردهم ويوكلهم مزيان والطير الثقيل اللي ماغاديش يقدر يطير هو اللي سارط شي حد! وكان كلام الناس صحيح فاش كلاو الطيور كلهم طاروا الا واحد؛ قال ليه السارح: حط ولدي ...

ولجت الغرفة وأنا مستأنس بصوت أمي وضعته بجانبي وغيرت حذائي، نهضت بعد ذلك، وضعت حذائي في الخزانة وعندما أردت أن اغلق بابها، انتبهت لمرآته، تذكرت صراخ الطالب لكن لم أعط للأمر اهتماما.

حين أردت الخروج من الغرفة، شد طرف عيناي اليسرى مرآة النافذة، التفت لأطيل التحديق، بدأت أربط الأحداث ببعضها، وجه الوحش الذي رأيته بعد ملئه بالدماء، صراخ الطالب ثم انتباهي للنافذة ...

بعد برهة فتحت فمي مندهشا من الأمر، أحسست بغبائي، لم أكتشف هذا في بادئ الأمر لو كنت انتبهت لكنا عرفنا الوحش بالأمس ...

ـــ "عمي المختآر، عمي المختآار...." أخذت المسجل بين يدي وركضت نحو غرفة التمريض وأنا أصرخ وأصرخ، فتح أحد التلاميذ الباب، دخلت مهرولا نحو عمي المختار:

ـــ "آمالك أولدي، ياك ماكاين باس؟" استجمعت قواي ووقفت بكل ثقة وقلت:

"عرفت مولاها، أووف عييت، .... " لم يفهم ما قلت "... السر فلمراية..."

الحلقة الرابعة عشر: وصول إلى الحقيقة

مندفعا نحو المختار، راودتني شكوك كثيرة عن الوحش، لم أكن متأكدا لكن كان هذا التفسير الوحيد:

" "آبشوية عليك، مالك؟ إينا مراية؟"

استرجعت أنفاسي لبضع ثواني والكل مترقب ينتظر كلامي، استدرت باتجاه الطالب الضحية وسألته إن كان يتذكر وقت صراخه المرة الأولى أمام الخزانة، قال:

ـــ "آه، مزال عاقل !!" ثم سألته بعد ذلك عن سببه فرد بأن السبب هو رؤيته لظل ما على المرآة، سألته مرة أخرى:

ـــ "أو هاد الظل ماشفتيهش فحتا بلاصة خرا؟؟"

لم يفطن التلاميذ إلى سبب طرحي لهذه الأسئلة أو إلى علاقة ما أقول بالقضية لكن الطالب كان يستمر في الإجابة عنها بكل بلاهة، أخبرني بعدم فهمه لقصدي، فأعدت سؤالي بصيغة أخرى :

ـــ'زعما ماشفتيش شي واحد كيشبه لداك الظل"

استمر في عملية التذكر، ظهرت عليه ملامح الحيرة والتفكير الطويل، يحاول إيجاد إجابة لسؤالي، خصوصا وقد كنت متيقنا من الجواب وابتسامتي كانت تظهر ذلك :

ـــ "فبيتك نييت ... " اقتربت منه متشوقا أحاول أن أؤكد كلامي "... هاديك هاديك" حينئذ صرخ بالفرحة وأمر بإحضار حاسوبه

الشخصي، دون قول كلمة، لم أفهم بغيته لكن تمهلت إلى أن أرى إن كنا نفكر فعلا في نفس الشيء، ناداني للجلوس جانبه فجلست عند رأسه.

ـــ"تسنا راه تقييل" انتظرنا اشتغال حاسوبه، كانت تبدو على المديرة والفقيه آثار الدهشة والفضول لعدم فهمهما ما يجري، لكن الابتسامة التي انتقلت من وجهي الى وجه الطالب كانت محفزا لهما لمواصلة ترقبهما بصبر، اشتغل الحاسوب وبدأ الطالب يتصفح مواقعه، لم أكن على علم بما يفعله؛ فهذه الثقافة غريبة عني، والتكنولوجيا الحديثة لا أفهم فيها شيئا إلا كونها عجيبة وقادرة على تحقيق أشياء كثيرة في مدة وجيزة.

ـــ "مرآة، ابريس، خنق، ..." لاحظت بعض الكلمات تكتب على الشاشة، رغم جهلي بكل ما هو حديث إلا أني فهمت أنه يريد البحث عن أي معلومات عن هذا الوحش داخل الشبكة العنكبوتية، ظهرت عدة كتابات زرقاء كل واحدة منها تحوي عنوانا مختلفا، ولج إلى أحد هذه العناوين، فانبهرت بمنظر الصفحة التي ظهرت أمامنا، تخيلت نفسي في منزل لممارسة طقوس السحر الأسود أو ما شابه، فقد كانت تحتوي على كتابات ورموز دموية وألوان غامقة، صور لأشباح وشياطين ثم موضوع يتوسط الشاشة، نادى الطالب على أصدقائه للجلوس بجانبه وطلب الإنصات الشديد:

ـــ "كيما قال عدنان، السر فلمراية، هاداك لي هاجمني، شايفوا ديجا، فين أو إيمتا، ماكنش مفكرو، حتى جا عدنان أو نبهني ليه ... " كنت فخورا بنفسي كوني السبب في حل هذه القضية "... كان

هو الخيال لي شفت فلمراية فالوقت لي غوت فيه أو جيتوا مخلوعين عندي "

ـــ "أو حتا أنا كنت ناسي فين شفتوا أو صدقت شايفوا فلمراية ديال شرجم بيتو.. " قاطعت كلامه وأكدته "... أو هادشي لي خلاني نشك"

عندها حاول الفقيه أن يعود بذاكرته إلى الوراء وتذكر إذا ماكان يعرف وحشا بهذه المواصفات لكنني طمأنته أننا عرفنا من الفاعل وأن الصفحة التي أمامنا تضم معلومات عنه.

ـــ "كيقولوا هنا لي ماكيبانش هاد الوحش ماشي حيت هوا باغي، ولكن هو عبارة عن جسم طاقي بحال الخيوط الضوئية، أو الكهرباء، ما كيقدروش يبانو بالعين المجردة، أما الوحوش عامة يقدروا يشوفوه بحالو بحال غيروا"

يحاول ترجمة ماكتب على الشاشة إلى لغتنا العامية لتقريب الصورة، أكد أيضا أنه يتغذى على الطاقات البشرية كونها أصفى الطاقات في العالم، مما جعل الفقيه والمديرة يتساءلان عن سبب مهاجمته للمركز دون غيره:

ـــ "إيلا فهمت أستاذة، النظام لي فارضة لينا كيخلي الماكلة ديالنا كاملة في الوقت، أو نعاس في الوقت، أو الرياضة إلخ، أو هادشي كيخالينا متميزين على غيرنا، خصوصا فوقت عامرة فاست فود، أو دهنيات إلخ" فهمت أن صفاء دمهم وحالتهم الصحية والنفسية جعلتهم ضحايا لهذا الوحش، سأل الفقيه عن إذا ما كان قد ذكر الموقع طريقة لهزم الوحش، فأجابه التلميذ

أن هذا الموقع لا يؤمن بالخرافات بل يتكلم عنها فقط من أجل التشويق، وأنه لا يهتم بالبحث عن طرق لهزمها نظرا لعدم تصديق وجودها من الاساس، لكنه بشرنا بوجود صورة مرسومة له من طرف صاحب الموضوع باعتبار ما جاء في الأسطورة.

وجه دائري الشكل، لا مكان فيه لأي ملامح سوى عينين يملأ سوادهما وجهه الفارغ من أي ملامح، يدان مربوطتا نهايتهما تشبه الأصفاد الحديدية الدائرية.

ـــ "الدورة قد واحد العصا كنت كنلعب بيها فاش كنت فالجامع!!"

ذكرني شكل ذراعيه بالعصا، وما أن تكلمت حتى أتى الفقيه ليرى صورته في الشاشة مسرعا، تأكد من كلامي، فأرسل أحد التلاميذ الحاضرين هناك ليحضرها من غرفة الضحية. دخل الفقيه في نوبة تفكير عميق وهو ينظر إلى الصورة محاولا تذكر إن كان قد رآه من قبل، لكن صمته الطويل جعلني أكسر خيبة أمله:

ـــ "هانيا ..." ضحكت متفائلا رافعا لكتفي كأنني لا أهتم إن صادفه قبلا، "... ياك شفناه فالمرايا المرة ليفاتت، ماكينش لاش نخافوا، يجي بعدا فليل، نوصلوا ليه، أو ديك الساعة نشوفوا كيندروا "

تعجب الفقيه من تفاؤلي، فبالرغم من أنها قضيتي الثانية بصحبته، إلا أني أظهرت تفاؤلا وعزيمة عجيبة للقضاء على الوحش مجهول الهوية، جعلني ذلك أنتظر الليل على أحر من الجمر ليظهر مرة أخرى وتسنح لنا فرصة القضاء عليه دون أن أعرف حتى الطريقة المثلى لفعل ذلك. أتى الطالب بالعصا، ونحن

بصدد الاتفاق على خطة متقنة نهزم بها الوحش، كان الفقيه عازما على الرحيل هو والتلاميذ الباقين بعد أن آخذ بعضا من مخدره الغريب (النفحة)، أما المديرة فقد نادت على باقي التلاميذ للقدوم إلى المركز حتى لا يهاجم أحد آخر غير الضحية .

... قال ليه الطير: نخطو ليك عور؟ ... قال ليه: مط ليا ولدي! قال ليه الطير: نخطو ليك زهاف؟ ... قال ليه: مط ليا ولدي كيف سرطتيه! ومطو وكان ولد عم هاينة، تهلا فيه السارح وعاملو كيا لو كان ولدو... وفي يوم ماشي بعيد قال للسارح بغيت نتزوج بالكلبة!! ... قال ليه السارح: اشنو تتقول آ ولدي هاذي عمرها ما كانت!! لكن بعد الشاب قرر باش يزوجها ليه وناس القبيلة يتعجبو ويضحكو كيفاش يقدر شاب يتزوج كلبة اللي هي هيوان!! ...

ـــ "سرر ... !!" قاطع صوت الجرس المربوط بغرفة التمريض صوت الفقيه، وهذا كان يعني شيئا واحدا، لذا فقد نهضنا أنا والفقيه والتلاميذ نجري نحو غرفة المريض، أشعلنا الضوء ثم صرخ أحدهم :

ـــ "راآآآهوآآ كيبان، ياللآآه"

ـــ "هيآآآ ...." صرخ التلاميذ مهاجمين بوحباس، الوحش الذي كان السبب في تحويل حلم الامتحانات النهائية إلى كابوس مرعب...

الحلقة الخامسة عشر: أنفاسي الأخيرة

ـــ "صهيب، ورآك ... شيماء، دوري على ليمن ديالك طاكي صهيب.."

هكذا كان الطالب المريض، جالسا على سريره وهو يملي علينا خطوات الوحش، بوحباس، أجل اسمه بوحباس هو نفسه الوحش الذي كلفه ابريس بمهمة ترهيب البشر ومهاجمتهم، كانت الخطة التي اتفقنا عليها جميعا هي شل حركة وتجنب أي خطأ قد يمنحه فرصة مهاجمتنا.

اتصلت المديرة بصانع المرايا ليلف الغرفة بأكملها بالمرايا، بدا على هذا الأخير استغراب واضح من طلب المديرة لكن المدفوع ثمنه مرغم لذا فقد لبى طلبها دون سؤال، ذهب الفقيه رفقة تلميذين لشراء أنابيب في نفس طول وسمك الأنبوب الذي كان بحوزته وأعطى لكل منهم واحدا في انتظار قدوم الوحش.

أغلقنا الباب وكما فعل الفقيه سابقا، ضرب بوحباس بكل قوته حتى اندفع هذا الأخير نحو الآلات فسقطت معظمها على الأرض، انتبهت الى آلة القلب التي رميت على مقربة من الحائط وفتحت ذراعاها.

بدأ بوحباس بالجري يمينا و يسارا محاولا إيجاد مخرج ينجيه شر هجومنا لكن دون جدوى فقد كان التلاميذ يحيطون به من كل مكان وكان الطالب المريض بمثابة مرشد لنا، نظرا لموقعه بجانب الحائط الأخير والذي يجعله على إطلاع بما يظهر على المرايا الخمس كلها، هكذا وجد بوحباس نفسه تحت رحمة

التلاميذ وانابيبهم، حيث انهال عليه الجميع بالضرب من كل صوب وحدب، كنت أيضا منهمكا في ضربه مستعينا بالعصي، لكني انتبهت إلى غياب أي خدش يثبت ما نحن بصدد فعله، لذا غرقت انا في تفكيري أحاول أن أجد سلاحا فتاكا نستطيع من خلاله القضاء عليه بسرعة، استغل هو فرصة سهوي ثم أصابني في اصابع يدي بذراعه وأزاحني بجانب الجدار.

كادت عظام ظهري تتهشم بعد سقوطي على آلة القلب، مما أضعفني وجعلني ضحية بين ذراعي بوحباس، قفز فوقي وأحكم قبضته على عنقي، أحسست في أول الأمر بضغط على مستوى العنق، ثم اختنقت وبدأت أشعر بوعيي يتلاشى، حاولت في الوقت القليل المتبقي لي أن أجد حلا سريعا يخلصني من شروره نهائيا وينقذني من بين ذراعيه، انتبهت إلى الأنابيب في ايدي الطلاب المنهالين عليه بالضرب، ثم إلى شيماء فتذكرت حدث الصعقات الكهربائية سابقا، لا أدري لم فكرت في ذلك وأنا على حافة الموت لا يفصلني عنها إلا حركة من الوحش.

هل هذه هي النهاية؟ هل ستنتهي مغامرتي في الحياة قبل أن أرى أبي؟ هل كلام الفقيه سابقا كان لهذه اللحظة؟ هل التفاؤل الذي غمرني في الصباح كان تحضيرا لوفاتي لا غير؟ أسئلة كثيرة اجتاحت بالي في الوقت الذي كانت فيه يداي مرتخيتان على الأرض، والظلمة تغمر مقلتاي رويدا رويدا، بدأت أشعر بنبضات قلبي تتباطأ وتتباعد، وشيئا فشيئا بدأت أفقد الوعي.

ـــ "سحابتي راسك تهنيتي مننـي هههه!!"

جملة ترجمت من ابتسامتي التي صدمت الوحش وسط فقداني للوعي، حملت فجأة ذراعي آلة القلب، وضعتهما داخل قميصي فوق بطني مباشرة، لماذا؟ كيف؟ لم أكن مدركا لما أنا بصدد فعله لكني فكرت في فكرة تمنيت أن تفيدني، وهذا ما كان، وضعت الذراعين على صدري حتى سرت طاقة بجسدي أحسست أنها امتدت داخل الأصفاد على عنقي، أخذت الطاقة تتسرب إلى جسد بوحباس، وبالرغم من ان فمه مغلق إلا أن الإحساس بالألم كان ظاهرا على ملامحه المنعدمة، رجوع الضوء إلى عيناي ساعدني على رصد ألم بوحباس، لكنه بالرغم من كل ما يواجه من ألم استمر في عملية الضغط، لم يستطع حتى أن يتخلص مني.

ـــ "شيماء، دوري لبوطونة، شيماآآاء"

بدأت أسترجع أنفاسي و كانت أول كلماتي هي رفع طاقة الآلة إلى أقصاها، أسرعت شيماء وأخذت الآلة من وراء ظهري، أدارت الزر إلى حده الأقصى، أحسست بحجم الطاقة الكبير الذي يحوم حول جسدي ثم يتركز بأطراف عنقي، صرخت بأعلى صوتي لأن الصعقة الكهربائية كانت تؤلمني بقدر ما تؤلمه، لكني لم أقبل أن أستسلم له، حتى انفجر رباط فمه وشرع يصرخ بكل ما أوتي من جهد وقوة، إلى ان خارت قواه وحررني من قبضته، امسك برأسه و هو يصرخ ويتألم والكهرباء تحيط به، بدأ يظهر لنا لهيب أزرق في بعض الأماكن من جسده، استمر في الصراخ و اللهيب يحيط به، حتى انفجر من الداخل، حجبنا الرؤية عن أعيننا تفاعلا مع دوي الانفجار لذا لم نر نهاية المنظر.

هدوء عم بالغرفة، فرحت لنهاية القضية، ساعدتني شيماء ـــ التي كانت قد أطفأت الآلة ـــ على النهوض، نهضت رفعت ذراعاي فرحا، صرخت لانتصارنا، وما كدت أنهي صرخة الفرح تلك حتى فقدت وعيي وسقطت.

ـــ"فطوومة، ... فطومتيي" صوت خافت ينادي باسمها وهي في عز نومها، حسبته في بادئ الأمر حلما، لكنها أحست بالحرارة تكسو الغرفة والصوت يعلو في أذنيها، استيقظت.

فطومة، شوافة من أمهر الشوافات في البلاد، تقطن بعاصمة الشوافات والفقهة بسيدي مولاي عبد الرحمان بمدينة الدار البيضاء، مكان معروف بأعمال الشعوذة والسحر، استيقظت على أصوات عهدت سماعها منذ أعوام وأعوام لكنها لم تتوقع سماعها مرة أخرى.

ـــ "شكون هنا؟! جاوب شكون هنا؟؟!!!"

رغم معرفتها للصوت إلا أنها كانت ترجو أن تخطئ التقدير، ذهبت إلى غرفة ابنيها التوأمين، ابنيها الوحيدين ذوا الست سنوات لتتأكد من سلامتهما، وظلت تنادي عمن هناك لكن لم يجبها أحد، زفرت حتى أفرغت رئتيها من الهواء وأطفأت النار ثم استلقت مرة أخرى.

ـــ "فطومة؛ آو نسيتيني بهاد الزربة ... هانيا لمهم واحد الأمانة ديالي هنا جيت نديها، بيما درتي خدمتك" بدأت تحلم كأنها تتكلم مع نفس الصوت، وبدأت تجيبه وسط الحلم:

ـــ "إينا أمانة؟ أو إينا خدمة؟" كانت تتكلم وهي تعرف الجواب أشد المعرفة، لكن خوفها ورهبتها جعلاها تنكر ظنا منها أن تجاهلها للموضوع سيفيدها.

ـــ "إينا أمانة؟ هيهيهي دغيا نسيتي، ولا حيت داز لوقت قلتي كلشي سالا؟" كان يتكلم بهدوء وسخرية، لكن تغيرت كلماته الى ضحكة شريرة مرت أمامها كشعلة نارية أحست بحرارتها فعليا مما جعلها تستيقظ لتلحظ أن الشعلة دخلت لغرفة ابنيها:

ـــ "مصعب، مطرش ..."

تسرع إلى غرفتيهما منادية، تلج الغرفة مرتعبة، لكن الأوان قد فات، لم تجد الطفلين في مكانيهما، الشعلة اختفت، وهي تدري ماهية هذه الشعلة، وجدت صورة فوق سرير ابنها مطرش، حملتها وكانت لرجل.

ـــ "ما يكون آخاطرك، ... " تردد وابتسامة الشر تغمر تجاعيدها "...أسي ابريس."

الحلقة السادسة عشر: إيجابي أكثر من اللازم

ـــ "آآآاتشم ... آاح النفحة عندكم سخونة هنا "

ـــ "هههه، تبعها أتاي باش تحايد الحرورة.. هه.."

بعد اليوم العسير الذي مررنا به، أفقت من غيبوبتي على تحضيرات حفلة شاي بمناسبة النصر الذي كان حليفنا. كانت كلمة المديرة تفيض بعبارات الشكر لي وللفقيه بصفة خاصة، ولتلاميذ المركز لعدم استسلامهم بصفة عامة، ثم أعلنت عن استئناف المركز لأنشطته وطريقه نحو الريادة والتفوق، وختمت كلمتها بإبداء استعدادها لتقديم أي مساعدة ممكنة في المستقبل من شأنها أن تساهم في القضاء على سيد الشر ابريس.

سألها الفقيه عن سبب رغبتها بمساعدتنا بالرغم من عدم تصديقها لنا في أول القصة، فأجابت أن السبب في ذلك هو شهادة الطالب الذي شرح لها تفاصيل ما حدث عندما هاجمه بوحباس، حمدنا اللّه على ذلك وانتظرنا انتهاء الحفلة لاستئناف رحلتنا الطويلة والمصيرية.

جعلتني هذه الأحداث المتسلسلة أحس بمغزى لحياتي، لقد أدركت أن حياتي بين المنزل والحظيرة كانت حياة على الهامش، مملة، خالية من الإثارة والتشويق لا تناسب شجاعا مثلي، لقد رأيت أنانيتي وأخطائي من منظور إيجابي هذه المرة كونهما كانا سببا في لقائي بحياة المغامرات بعيدا عن الرتابة القاتلة التي كنت أحياها، وكسب صداقات جديدة، وخوض تجربة فريدة إلى

جانب الفقيه الذي كان خير أنيس ورفيق، مساهما في إخراجي من حياة الوحدانية والملل إلى حياة التشويق والاحتكاك بجميع أصناف البشر ...

لم ينتشلني من دوامة الأفكار هذه إلا صوت الحافلة التي وجدتني داخلها عائدا رفقة الفقيه إلى الدار البيضاء، لم أتذكر المسجل الذي يضم صوت أمي لأن كل ما كان يشغلني هو التفكير في المغامرات التي تخفيها الأيام المقبلة، والأشخاص الذين سألتقي بهم هكذا كنت غارقا في بحر خيالي حتى قطع علي الفقيه حبل تفكيري قائلا:

ـــ "تبارك اللّه عليك ليوما ..." نظرت اليه مبتسما "... شنو خلاك فكرتي راه الضو يقدر يقضي؟؟"

ـــ "تفكرت العصا ديال الحديد أو داكشي لي دارتوا فيا شيماء بسباب الحديد لي فصباطي، أو هوكا قلت إيلا كان بوحباس كيتغدا بالطاقة كيما قالوا، علاش مانعطيوهش داكشي لي بغا ..." صمت لثواني واتكأت على الزجاج مبتسما ".. أولا كثر ڭاع!!" ابتسم الفقيه مبديا اعتزازه بي وببسالتي، ظل يتذكر أيامه مع جدي رحمه اللّه، وكأنه يقول إنني أشبهه في تصرفاته...

ـــ "نهضروا فالمهم ..."

غير نظرته ونبرة صوته إلى الجدية، ومرة أخرى سلمني صورا وصفحات من جريدة اليوم والبارحة، سألته عن محتواها، فكان

جوابه كما ظننت وهو أنها مرشدنا إلى الوحش القادم، أمسكت الصورتين كانتا تحملان على ظهريهما نفس العنوان:

انتحار القاضي "أحمد بوسكة" شانقا نفسه وسط بهو المنزل" ثم "وكيل الملك "سعيد بنوالي" مشنوقا في عقر داره هو الاخر، هل هو حقا انتحار، أم جريمة ملفقة؟

عنوانان ملآ الصفحتين مع صور الجثتين ومظاهر الاختناق على وجهيهما، تذكرت حينئذ مظهر الضحية الأولى لبوحباس، نظرت اليه بإمعان وأرجعت للفقيه الصفحتين وأنا أسأله:

ـــ "باش عرفتي واحد من الخدم هو سباب؟ "

ـــ "عاجل: اكتشاف جثة المحامية الشهيرة "آمال بعياد" وهي مخنوقة بحبل وكالعادة لا توجد بصمات الضحية في المكان المحيط بها، هل هذا انتحار أو جريمة قتل؟ أترككم مع الصحافي سعيد للمزيد من التفاصيل"...

ـــ "هاهيا جاوباتك!!"

قاطع سؤالي صوت المذيعة على راديو الحافلة، لم أفهم معنى البصمات لكني لم أسأل، بل ابتسمت قبل أن يكمل كلامه وقلت:

ـــ "ما يهمش ..." سكت الفقيه ونظر متعجبا بابتسامتي "... حنا نمشيوا كان واحد من لخدم نتهناوا منوا، ما كانش نكونوا تعلمنا حاجة جديدة بما جات الوقت لشي خدمة جديدة"

قلتها وأنا أحضر نفسي للنوم من شدة الإرهاق الذي سببته لي الأحداث التي عشتها مؤخرا، تركته مدهوشا من سرعة انسجامي مع القضايا التي عايشتها معه لكنني تجاهلته وشغلت مذياعي:

... العايلة ما فرطاتش وعيلات ليه عرس كيف جميع الناس وفاش هاينة وولد عمها كانوا وحدهم قال ليها لوهي الجلد ولاحت هاينة الجلد ... في الصباح مول الدار قال للخادم باش تهشي تشوف سيدها كيف اصبح وواش الكلبة كلاتو او لا؟!! مشات الخادم وتفاجأت باللي شافت!! ورجعات تجري عندهم وتقول الله على مرات سيدي شحال زينة، البياض بياض ثلج والشعر طويل ليل، والخال فوق الخذ باين ... وهاكا رجعت هاينة كيف كانت بنت زينة، وكان الزواج وكلهات ولد عمها سباب في بطول السحور... وهاذي نهاية حكاية هاينة وعمي الغول وعشات خبيرتي من واد لواد وبقيت انا مع الناس الجواد ...

هكذا انتهت قصة هاينة بزواجها بابن عمها، انتهت حياة المحن لتأتي حياة السعادة الأبدية؛ وكانت النهاية في موضعها جعلتني أؤمن أكثر بما كنت أفكر فيه، أن بعد كل عسر يسرا، وما دمت مسلحا بالصبر والكفاح فلا يمكن لأي شيء أن يهزمني، وما دمت متفائلا ومصرا على ما أريد فإن النهاية ستكون حتما كما خططت لها.

ـــ "علاش ما تابداش تكتب ؟؟" قاطع الفقيه أحلامي وأفكاري، فتحت عيناي قليلا ورفعت رأسي عنده فوجدته يبتسم "... مالك آش خاسر أولدي.. فبلاصت ماتعلق راسك بالماضي لي يضرك، ربط راسك بالحاضر، أو خليه عبرة للناس ديال المستقبل.. " أذهلتني فكرته كثيرا، لكن الوقت لم يكن مناسبا للمناقشة فقد كان

النوم يغلبني، لذا اكتفيت بابتسامة نعسانة ونمت، مرت دقائق والفقيه ينظر إلي وهو مبتسم، فجأة دمعت عيناه والتفت وبأشد حزن ردد وأنا في سابع نومي:

ـــ "أو ماكيناش شي سعادة كادوم ... حتا من هاينة باتت ما ظلات مع ولد عمها"...

الحلقة السابعة عشر: صدفة غير منتظرة

قطع زليج نظيفة ناصعة البياض، على مقربة منها تظهر قدمي الرجل وقد استسلمتا للموت، أرفع ناظري إلى الأعلى فألمح عينين ذابلتين، وجه يميل إلى الزرقة وحبل سميك للغاية يلف رقبته، مربوط بثريا البهو، هكذا ولجنا مسرح الجريمة الرابعة التي اقترفها وحش من أتباع ابريس كما كنا قد احتملنا، لكن من هو؟ وما معيار اختياره للضحايا؟ لم تكن تراودنا أية فكرة حيال ذلك، لكن ثقة الفقيه وقناعته بوجود قاتل وراء فعل الانتحار كانتا كفيلتين بجعلنا نقحم أنفسنا داخل إجراءات التحقيق بعقر دار الضحية.

مرة أخرى داخل مدينة الدار البيضاء مع سلسلة جرائم جديدة، و الضحية في هذه المرة هو محامي آخر، قتل بنفس الطريقة مشنوقا وسط منزله ولا وجود لأدلة تنفي فرضية الانتحار، لكن الغريب بالأمر هو غياب أي وسيلة قد تساعده في عملية الانتحار ككرسي ، سكين ،دواء قاتل أو ما شابه ذلك، علو المكان ينفي احتمالية وصوله للسقف دون مساعدة، وهذا ما أكد شكوكنا بأننا أمام جريمة قتل مكتملة الأركان مختبئة تحت عباءة انتحار، وكان غياب البصمات عن مسرح الجريمة هو ما جعل الفقيه يفترض اننا في مواجهة وحش ببنية غريبة وليس إنسانا آدميا، عندها وبكل بلاهة و سذاجة سألت أحد رجال الشرطة عن معنى البصمات، فكان جوابه أن طردني من مسرح الجريمة لكي يكمل عمله لذا أسرعت إلى الفقيه:

ـــ "زعما والو والوا؟"!!

ـــ "معرفتش أولدي واللّه!! ما جا فبالي والو" كان يتكلم والحيرة ظاهرة على ملامحه فيما يخص مقترف هذه الجرائم المتسلسلة، حيث لم تكن له أدنى دراية عن ماهية الوحش الذي يمكن أن يفعل هذا.

ـــ "بففف، أنا أنمشي نشوف منين نجيب خبارات" غادرته نحو الناس محاولا إيجاد أي معلومة قد تفيدنا، لكن الكل كان مشغولا بالحديث عن محقق ما أجمعوا أن له طريقة غريبة في تحليل المعطيات وهو ما جعلني لا أعير الأمر اهتمامي وواصلت اللف بين الجموع محاولا جلب معلومة مفيدة وحيدة.

ـــ "هيهيهي، ما بان ليكم والو زعما؟ حوالا ..."

باحتقار وسخرية أنتبه إليه يأمر الشرطة بالكشف عن الجثة أمامه ليتحقق من أية دلائل.

ـــ "سيدي، الحاجة الوحيدة لي قدرنا نوصلوا ليها أنه مات دابا شي ثلاثة سوايع"

يحيي الشرطي المحقق وهو يعلمه عن زمن الوفاة لكن المحقق وهو جالس القرفصاء يهز عينيه وهو في حالة سكر موجها الخطاب للشرطي :

ـــ "نعام!! دويتي؟!!" يخرج قنينة جيبية، يرشف منها وينهض ليقترب من الشرطي الى ان يلتصقا أنفيهما "...الحوايج لي لابس

سخونة لا؟" يتراجع الشرطي خوفا ويسأله عن قصده "السخونية ديال الحوايج ماغتخليكمش تعرفوا إيمتا مات، حيت كيخلي الحرارة طالعة ولالا؟؟؟"

ـــ "نعام سيدي !!" يتراجع وهو يوافق المحقق شعشاع خوفا منه، نعم إنه شعشاع، طريقته في التحليل والكلام جعلاني أصرف انتباهي عن إيجاد حل للجريمة وأنشغل بمراقبة سكناته وحركاته المجنونة، خاصة عندما يخرج قنينة الخمر من جيبه وكأنها دواءه لحل ألغاز الجرائم، لقد تذكرت لقاءنا الأول به أنا وعمي المختار، مما جعلني أتفاءل جدا برؤيته من جديد...

ـــ "هيهيهي كامبو!! ..." يخرج من مسرح الجريمة "... سيد مزال لابس حوايج خدمتوا، حتامن المونطو ديالو مازال ماحيدوش!! هذا كيعني مات مباشرة من ورا ما جا الخدمة ..." شحنني استنتاجه السريع طاقة إيجابية لكن كانت الصدمة الكبرى "...إيلا نتابهتوا مونطوه طالع شوية على فخاضوا، أو مجموع من جيهة كتافوا، لكول مجموع على عنقو هادا كيدل على شيواحد هزو أو حطو وسط القنبة بيد وحدة..." لم يتقبل رجال الشرطة ما قاله، حمل القنينة ليأخذ جرعة اخرى، ولج الغرفة:

ـــ "ما زال بلاصتو مطبوعة فوق السداري، أو حتى من صباطوا ما زال محطوط قداموا، هنا كيبان بلي خونا كان عارف لي قتلوا مزيان، أو فاش ناض بخاطروا حيت مكين تا شي أثر ديال العنف هنايا"

ينصدم المحقق شعشاع بوجود محقق آخر داخل الغرفة يساعده في التحليل، ولأول مرة أرى المحقق فرحا.

ـــ "حبيبيبيي، محقق جمآال..."

يعانقان بعضها البعض ويكملان استنتاجاتهما على التوالي :

ـــ " هيهيهيهي أحسن حاجة، اللهم عشرتك ولا هاد الباك هيهيهي" ينزل إلى جانب الطاولة الموجودة وسط الغرفة "هاد الطبلة مسوخرة من بلاصتها ..." يقاطعه جمال

ـــ ".. تقدر تكون هي لي طلع فوقها المجرم باش علق الضحية ديالو"...

ـــ "أجيوا نتوما!!..." ينادي على شرطيين ويأمرهما بحمل الطاولة قرب مكان الجريمة، يحاولان إخراجها بكل الطرق لكنهما لا يستطيعان...

ـــ بلاتي بلاتي ..." ينتبه المحقق جميل إلي طبعة كانت قرب موضع الطاولة، ينزل فيلاحظ 4 مواضع أقدام مقاربة جدا "... إيلا شتي هنا كنشوفوا بحالا شي واحد راجع لور بشوية، كنظن بلي الضحية وقف هنا مقابل معا المجرم ..." وضع أصبعه على موضع الرجل اليمنى الأمامية: ".... أو بقا متراجع أو خايف أو هاكا جر معاه الميدة تاهيا"

ـــ "هآآ، هآ، كنبغييك آ جمال كنبغييك!!!"

يصرخ معجبا بتحليل زميله جمال ويلفت بصراخه انتباه الذي رآني مختبئا وراء الباب أسمع كلامهما وهما بصدد تحديد أحداث

الجريمة؛ سألني ما أنا فاعل وراء الباب فأسكته وأشرت له إلى المحقق شعشاع ففضل الاختباء هو أيضا والاستماع فقط.

ـــ "أو كيما كنشوفوا لبلاصة لي دازوا فوقها رجلين نقيين، هاهاهاها...." يجري نحو الضحية خارج الغرفة محاولا إظهار نقطة ما "... غانزيدوا نتأكدوا إيلا..." وهو خارج من الغرفة حاولت أنا والفقيه الهروب لكن ما كدت ألتفت حتى وجدت عينين ذابلتين أمام عيناي، رائحة شراب كريهة تدخل أنفي، انتبه إلي شعشاع وأنا أحاول الهروب لكيلا يراني، تلاقت اعيننا، أطال النظر إلي ثم صرخ:

ـــ "آآآع، آاش كديروا هنا أول.....!!" ما كاد يكمل كلامه حتى أمسكني الفقيه من ذراعي وهرول بي خارجا، لكن صراخ شعشاع المدوي جعل الشرطة تلاحقنا وتغلق علينا المنافذ كلها.

ـــ "تسحاب راسك أتهرب ديما، هاهاها، هانتا بين يدي دابا..." يسرع شعشاع ويأخذ ذراعي الفقيه بالقوة حتى تسقط محفظة جدي تنفتح لتظهر الأسلحة وغيرها من محتوياتها، يلتفت إلى الشرطة ويأمر

ـــ "... جوج منكم يتبعوني بهاد البرهوش أو هاد الشانطة ..." يصرخ "... ياالاه سربييوا... "!!

الحلقة الثامنة عشر: فقدان عزيز

ـــ "وآ طلقوني!! وا ما درت وآالوو!! طلقونيي"

ـــ "بلاما تمحن راسك أولدي، شداتنا نشبة، اللّه يخرج هادشي على خير أو كان !!"

هكذا حاول الفقيه إسكاتي، كنت أصرخ أحاول الخروج من الغرفة المظلمة الخانقة التي وضعنا بها المحقق شعشاع، غرفة خالية إلا من بعض الكراسي ومكتبين، مكتب وضعت فوقه آلة كاتبة وبجانبه كرسي واحد، ثم آخر يضم أصفاد مربوطة به، وقد ربطنا شعشاع بها وغادر الغرفة، ظللت ألقي لوم اعتقالنا على الفقيه، كونه السبب في تعطيل هروبي من البهو، لكنه لم يهتم بكلامي وسألني عما كنت قد استنتجته من خلال تحليلات الصوتي والمحقق جمال.

ـــ "ما عرت!! خلاوني نشك بلي بصح هادي خدمة واحد من خدام ابريس"

ـــ "شنوا قالو؟؟"

سألني فشرحت له عن حجم الطاولة التي كانت أكبر من باب الغرفة وعن كيفية إمساك الضحية من عنقه وتعليقه في الحبل فبادرني:

ـــ "إيلا كانت الطابلة لي شاكين فيها ماخرجاتش، كيفاش غايقدر يوصل لقنبة بلا بيها؟"

ـــ "زعما يكون شي غول كبير؟ ولا شي حاجة كطير؟"

ـــ "مانقدرش نعرف، هادشي ما كافيش، ما سمعتي تاحاجة خرا؟"

ـــ "على حساب ما فهمت محقق جمال قال بلي الضحية كان كيعرف هداك لي قتلوا ولكن"...

ـــ "سكت...." وضع يده على فمي وبدأ يفكر مطولا في الأمر "...كيعرفوا..." زاد تركيزه كأنه يحاول تذكر شيئ ما "...زعما يكون ..."

"هانا جييت، توحشتوني !! هيهيهي" لم يكمل الفقيه كلامه بسبب مقاطعة المحقق شعشاع له، دخل الغرفة رفقة شرطي آخر كان قد جلس أمام الآلة الكاتبة، أخذ شعشاع الكرسي، أداره ثم جلس واشعا ساقيه على ظهر الكرسي...

ـــ "كيفاش زعما !!؟؟" يأخذ قنينته الجيبية ويتجرع منها قليلا، يمسكها بيده "... أو زعما ..." يقهقه ويردد "... جايين عندي برجليكم ... هيهيهيه"

ـــ "إيمتا ناوي طلقنا؟؟ ..." يتوجه اليه الفقيه بجدية وبرودة "... تابعانا خدمة خاصنا نديروها ..." يقاطعه المحقق بطريقته المضحكة:

هاهاها ... خدمة، شكون تابعكم عاوتاني تقتلوه !!.. " يلتفت إلي "... أو نتا البرهوش بلاصتك فمدراستك، باش طمعك هاد الشارف تا جابك معاه..." يطيل النظر إلي "... آآآآه ولا نتا ولدو؟ حفيدو؟"

ينهض من كرسيه ببطء ويقترب منا ويصرخ "جاوبوا كيكاديروا تاكاتقتلوا؟؟ "!!

ـــ "حنا ماكنقتلو حد!! بالعكس..." خاطبته وأنا مرتعب من لكنته التهديدية.

ـــ "هاهاها، لا ما كتقتلوش، غير كتلعبوا معاهم مساكن هاهاها..." قاطع كلامي بلهجة ساخرة مرة أخرى لكني قاطعته

ـــ "حنا ما كنقتلوا حد، ابريس لي كيقتل" يصمت المحقق ويحدق بي مطولا:

ـــ "ابريس؟؟ شكون هذا؟ أو فين ساكن؟ أو كيفاش كيقتل؟؟" ظل غارقا في أسئلته عن الإسم الذي لفظته فقررت الاعتراف بما جرى والتوكل على اللّه للخروج من ذلك المأزق.

ـــ "آآح، عييت، خدمت دماغي بزاف " يرجع المحقق جمال الى منزله متعبا ويدخل غرفته ليغير ملابسه، ينظر إلى الصورة فوق سريره، صورته هو ورفاقه من بينهم شعشاع، يتساءل عن علاقته بالمجهولين الذين أمسك بهما.

ـــ "تشك!!" يسمع صوتا قادما من البهو فيلتفت ليجد أن الإضاءة مطفأة، يتعجب لأمرها كونها كانت مضيئة قبل قليل.

ـــ "آآه، لبولة تحرقات" لم ينته من تغيير ملابسه، يتوقف بغية إصلاح الإضاءة، "...أشنوا هادشي؟" يكتشف أن المصباح غير معطل، ويلمح شيئا ما معلقا بالثريا، حبل في نفس لون وشكل

الحبال المستخدمة في الجرائم الفارطة، يتراجع إلى الوراء في وهلة ثم يتقدم ويصرخ:

ـــ "شكون هنا؟ شكون هنا؟ ..."

يصرخ وهو يلتفت يمينا ويسارا، وما يكاد يكمل دورته حتى يظهر له شخص وسط البهو، يصرخ بأعلى صوته طالبا النجدة ثم يتراجع خطوتين إلى الوراء، خائفا...

ـــ "نتا ... نتآ!! مايم ... مايمكنش ...!!!!" يتصبب العرق من جبينه، والخوف ظاهر في عينيه كأنه رأى شبحا "...كيدرتي ليها؟؟ شفتك بعيني ..." وما كاد يكمل كلامه حتى أحس بأنفاس الشخص نفسه وهو يحمله من رقبته إلى حبل المشنقة، يحاول المحقق تخليص نفسه لكن الأوان فات، يجد نفسه محاطا بحبل المشنقة تفصله عن الموت ثواني معدودة، يمتنع للحظة عن المقاومة ثم يضع يديه في جيبه ليضغط بعض الأزرار في الهاتف قبل أن يلقى حتفه وكما أراد...

ـــ "إيلا ماطلقتيناش، راه الناس غايموتوا أو غايعاودوا يموتوا..." بعد أن أنهينا قصتنا، يحاول الفقيه إقناع المحقق شعشاع بإطلاق سراحنا لإيقاف جرائم القتل، يستقبل المحقق رسالة على هاتفه، فيتشتت تركيزه عن كلام الفقيه "... أو هادشي ماشي غير فداربيضا..." ينهض شعشاع متجاهل كلامنا يحاول الاتصال برقم الرسالة "... ولكن لبلاد كاملة تقلب على راسها"

ـــ "هنينا، أووف قويتي لهدرة !!" نظر إلينا شعشاع مكشرا عن أنيابه، كانت نظرته مرعبة "... هاد الزبل تاهوا مايجاوبش!!" ما إن انقطع الاتصال حتى جاءه اتصال آخر.

ـــ "ألوا ... آه هو هذا؟؟" تتغير التكشيرة إلى نظرات صدمة واندهاش، بدا كما لو كانت عيناه الذابلتين ستخرجان من مكانهما من فرط الصدمة "...إيمتا هادشي؟؟ ..... واخا أنا جاي دابا!!" يقطع الاتصال ويأخذ اللاسلكي آمرا:

ـــ "لكل قمقوم كيسمعني، نبغي كلشي فدار المحقق جمال دابا، كنكرر ... لكل قمقوم معاكم محقق شعشاع، نبغي كلشي فدار المحقق جمال دابا ... " كان يردد على اللاسلكي ويفتح أصفادنا، لم نكن نعلم ما جرى أو سبب تحريره لنا، لكنني سعدت بذلك ولم أهتم بالتفاصيل "...تبعوني بجوجكم!!" أخذ يهرول نحو الخارج، تبعناه نحن أيضا غير مدركين لمراده منا، اصطدمت بحقيبة جدي، فأخذتها بين ذراعي ولحقنا به.

"ركبوا ركبوا دغيا ... !!" ركبنا معه السيارة، شغلها وقبل أن يبدأ في السياقة التفت الينا وردد: "نتمناو ماتكونوش كذبتوا فشي حاجة ..."

الحلقة التاسعة عشر: رسالة الموت

ـــ "هيهيهي، برهوش جيب معاك !!" وصلنا إلى منزل المحقق جمال ضحية الوحش الأخيرة، كان شعشاع يتوقع أن الإمساك بنا سيحد من الجرائم، لكن وقع ما حذره الفقيه منه، مات صديقه الحميم وزميله في العمل جمال، فما كان منه إلا أن طلب مساعدتنا، لأننا سبق وساعدناه في حل القضية الأولى ولأنه يكره العمل مع رجال الشرطة العاديين.

عندما أوقف سيارته كنت جائعا وكان الظلام قد حل، لذا طلبت إذنهما لجلب ما نسكت به جوعنا، وأنا أنتظر أن يمدني صاحب الدكان بما طلبت، لفت انتباهي وجود دفاتر وكتب وأقلام على أحد رفوف الخزانة هناك، طلبت من صاحبها دفترا، ثم باشرت تصفح صفحاته الفارغة، ذكرني ذلك بصفحات كتاب شالة، أديت ثمنه ثم وضعته بالمحفظة رفقة القلم، متحمسا للحظة التي أبدأ فيها تدوين يومياتي.

ـــ "وصلتوا لشي حاجة؟؟"

طرحت السؤال بعد أن ولجت منزل المحقق جمال، نفس المنظر الذي شاهدناه في الجريمة السابقة لمحته هنا، أمر المحقق شعشاع بإنزال الضحية، كانت هناك سيدة في زهرة شبابها، تجلس على كرسي بالقرب من الضحية، تنوح وتبكي فراق زوجها بحرقة بالغة، جالسة في كرسي، فيما كان الفقيه يربت على

كتفها محاولا تهدئتها، سألته عن أي جديد بخصوص موت زوجها فجاء رده مخيبا للآمال ثم توجهت بسؤالي إلى المحقق:

ـــ "برهوش..." نظر إلى بعينيه الذابلتين باسطا ذراعيه "... هارا ديك لميكة ..." أخذ علبة طعامه ثم طردني بعد أن ظننت أنه أصبح يثق بنا "... برهوش هيهيهي، ڭاليك واش كين لجديد ..." صمت لبرهة ثم استأنف كلامه وهو يفكر "... الجديد آاممممم ..." بدأ يتفحص هاتفه النقال بانفعال كأنه تذكر شيئا ما، ثم سأل عن مكان تواجد هاتف جمال، فكانت الإجابة أنه كان يشتغل به ثواني قبل موته، سلمه شرطي مساعد الهاتف، ثم فتحه ليطلع على آخر رسالة كتبها جمال، سأل الفقيه إن كان له أي علم بمحتوى الرسالة، لكن ضعف نظر الفقيه جعلني أقفز أخطف الهاتف وأقرأ محتواه.

"72747/2010/1507/00"أرقام حاولت نقلها من هاتف السيد شعشاع إلى دفتري في الصفحة الأخيرة، حدق به الفقيه كثيرا و سأل المحقق عن معنى الرسالة:

ـــ "هادي رسالة موت ..." حدق الفقيه في الرمز بتركيز واضح "...رسائل كيكتبوهم الناس لي كينتاحروا فيها لهدرة ديال المسامحة أو لعجب"...

ـــ "ايه ولدي فهمتك!! ولكن"..

ـــ "خليني نكمل هدرتي ... أو كاين لي كيكتبوهم فاش كيكونوا ضحايا أو ماعدهم حتا وسيلة باش يهربوا، كيفضلوا يخليوا رموز لي تقدر تسهل علينا نوصلوا الحل ولا المجرم"

فهمت أن الأرقام على الهاتف يمكن أن توصلنا إلى الحل بفك شيفرتها، واصل الفقيه تحديقه بالرسالة محاولا تذكر أي شيء عن الرمز، وفي نفس الوقت نادى شعشاع على اللاسلكي لتفكيكه ومحاولة إيجاد جميع الاحتمالات.

ـــ "فين وصل لكتاب؟؟"

ـــ "يخ هاهوا جا ..." تشتم في خاطرها وتجيبه "سيدي ابريس ماتخافش، داكش غادي كيما بغيت، غدا يكون عندك ..."

ـــ "هاهاها، أو ديك ساعة ملي يكون لكتاب بين يدي هاهاها، أتكون هدرة خرا هاهاها"...

ـــ "أنا مشي سوقي ..." ترمي بعض البخور فوق الفحم ".... جيب ليا أولادي أو هدر ولا غني "!!

ـــ "ولادك هاها ..." يقترب منها ويهمس لها في أذنها "...ماتنسايش ... راه غير واحد فيهم ..." يبتسم ابتسامة شريرة وبهدوء "... لي ديالك!!" يقولها وصوته يبتعد شيئا فشيئا بضحكاته الشريرة وصوته المستفز الذي يحرق النفوس، يذهب ويتركها في أشد حالات انفعالاتها.

في هذه الأوقات كنت أتناول عشاءي منتظرا الجديد، استقبل المحقق شعشاع اتصالا، وبعد أن أخبره أحد المحللين بما وصل إليه تقدم إلينا:

ـــــــ "بالنسبة للأرقام لولين من بين 2000 احتمال يالاه لقينا احتمال واحد ليخدام لينا هو هادا ..." أرانا كلمة كان قد كتبها في دفتري، كانت بلغة غريبة لدى سألته عن معناها "... بففف أمي، لمهم هادي كلمة بلفرونسي (PARIS)، أو كتعني باريس مدينة كاينة ففرنسا"

"المهم دوز لينا لشي لاخور عاد نشوفوا المعنى ... آآآآتشم" قاطعه الفقيه وهو يأخذ قليلا من النفحة، فكانت إجابة شعشاع بالنفي، لأن الأرقام الأخرى لم تكن تحمل في طياتها أي معنى مما أرغمنا على العمل بها كما هي، تقدمت و اقترحت عليهم إن كان بإمكاننا اعتبار 2010 رقما يعبر عن سنة ما و رقم 1507 يشير إلى شهر و يوم معينين، يعني أن يكون يعني أن يكون حل اللغز تاريخ ومكان مميزين بالنسبة للضحية انتبهت المرأة لتحليل المحقق لكنها لم ترد التكلم خوفا من أن تكون مخطئة:

ـــ "دوي، شنو عندك .." وهو يلف الغرفة والقنينة بيده، حسبته معي، لكن عينيه اتجهتا إلى زوجة الضحية، ترددت لكنها أخبرتنا أن المحقق لم يذهب أبدا إلى فرنسا ليكون له ذكريات هناك، ثم استئنفت كلامها قائلة بأنها قد تكون على علم بدليل يوصلنا إلى الحقيقة سألتها فكان جوابها :

ـــ "كنظن السركاين في المكتبة"...

الحلقة العشرون: اعتراف ميت

مكتب، كرسي عمل، حاسوب منزلي، بضعة أوراق و أقلام على المكتب؛ تتوسط الغرفة مائدة شاي صغيرة و أريكة تكفي لشخصين، ثم مكتبة بعرض الحائط، كبرها جعلني أظن أنها تحوي كتب العالم كلها، كانت تظم نوافذ عديدة، على كل نافذة علم لبلد ما، فتح المحقق إحدى النوافذ، ثم صرخ بأعلى صوته فرحا لأنه وجد ما كان بصدد البحث عنه، فتح نافذة داخلية أخرى تحوي كلمتين إحداهما باريس، و الأخرى كانت بلغة لم أفهم معناها، كانت تحتوي على أعمدة عديدة مرتبة على حسب السنوات من سنة 2002 إلى 2016، سبقته إلى ملف 2010 و فتحته، وجدته يحتوي على أوراق مدرجة تحمل أرقاما، بحتت عن 1507 و ها أنا أحمل بين يدي ملصقا به ظرف، نزع المحقق مني الملف، فتح الظرف، و أخرج محتواه، قرص مدمج.

ـــ "نخدموه باين ليا!!" شغل شعشاع القرص وجلسنا نستمع له:

"سلام و عليكم، معاكم محقق جمال، محقق في ولاية الدار البيضاء، أو لفعل ديال أن هاد الديسك من بين يديك كيعني وحدة من جوج، يا ماقدرتش نصبر وأنا كنعترف دابا قدام المحكمة، يا جرات ليا موصيبة أو طلعتكم على بلاصتوا باش مايبقاش تقليد عليا .... ليوما 23 أكتوبر 2010، دازو يوماين باش سالينا واحد القضية كاتخص واحد من المسؤولين دلبلاد ..."

تضمن تسجيل الفيديو اعتراف المحقق جمال بتلفيقه لتهمة خطيرة لأحدهم ظلما وذلك لإبعاد الشبهات عن صاحب الجريمة الحقيقي بسبب أنه كان ذا سلطة عليا و قد كان متهما باغتصاب مجموعة من الأطفال وقتلهم ودفنهم في إحدى المنازل المهجورة، لكنه هدد مجموعة التحقيق بفقدانهم لمناصبهم إذا ما فضحوه فاضطروا إلى تلفيقها إلى بريء لا ذنب له إلا سذاجته، هكذا فهمنا من القرص أن المحقق جمال ما أراد إلا الاعتراف بخطيئته وهو بين حبال المشنقة لكن تبين العكس لما أظهر نقطتين، النقطة الأولى هو كون الضحية أعدم شنقا، والنقطة الثانية كون مجموعة التحقيق كانت تضم بالضبط كل ضحية من الضحايا السابقة، حينئذ أوقف المحقق الفيديو منفعلا، جلس يفكر سألناه ما به، أخذ رشفة من قنينته و بدأ يحوم بجنبات الغرفة حاملا بين يديه صورة جمال متمعنا في تفاصيلها تجيبني والحزن ظاهر بعينيه.

ـــ "هه، أو أنا لي كيصحاب ليا شريف، هاها ..." يتكلم ساخرا وقد خاب ظنه كثيرا بصديقه القديم، "... ولكن ماتخافش غانتاقم ليك أو ليه..." تحرك قليلا ثم حمل الصورة عاليا ورمى بها صارخا "تفووو .... ظاآآلييييم"!!!

يشغل سيجارة ويأمرنا بالتفكير في الرقمين الباقيين من الرسالة "00" ثم يخرج من الغرفة ليكمل تدخينه، كنت أفكر في طريقة لتصفية الجو، أحاول خلق محادثة:

ـــ "ما خلى ليك ولاد؟" أسألها محاولا التخلص من الملل

ـــ "لا مازال ما قسم اللّه، كثر من 4 سنين أو حنا مزوجين، أو كنا مزال مضاربين معا لولاد نيت" تجيبني وهي في أشد مظاهر حزنها

ـــ "ماكنتوش تفكروا تربيوا؟؟"

ـــ "لا، عمر شي ولد يكون بلاصة ولدك!!" ابتلعنا الصمت جميعا بعد هذه الكلمات، حاولت جاهدا التفكير في موضوع آخر لكنها باذرتني " ... اللّه يرحموا كان واخا هوكاك..." دخل المحقق حينئذ وهي في منتصف كلامها "... نهار عرفت راسي ماكانولدش، شرا ليا هاد لبراسلي..." أشارت إلي عقد بمعصمها يحول علامة رقم ثمانية أفقية، لمحه المحقق وأطال النظر إليه خصوصا بعد أن سمع كلماتها "... بغا يقوليا اللّه يرحموا بلي عمروا يخليني، أو الحب ديالنا عمروا يموت !!" قفز وهو يصرخ من الفرح:

ـــ "عرفتهآا، عرفتهآ هاهاهاها، عرفتهآآ ..." التفتنا إليه أنا والفقيه متعجبين من طريقته "... هاد العلامة هي رمز ديال الخلود ولا العودة من الحياة هاهاها...ها زيروآت شنو كيعنيوا ... جمعوهم هيهي، جمعوهم أو شوفوا شنو غايعطيوكم..." لم نفهم معظم كلامه لكنه أكمل "... مايكونش ابريس رجع الضحية للحياة، أو خلاها تنتاقم ؟؟" صدم الفقيه بالتحليل الذكي ثم سرح بنظره متذكرا ما كان سيقوله قبل أن نخرج من مركز الشرطة:

ـــ "هههه، ايه أولدي اللّه يرضي عليك، المرحوم كيعرف لي قتلوا، أو دابا لكتبة ديال لخلود، هيا هاديك أولدي، أو أنا عارف شكون يقدر يكون سباب فهادشي، غير هو ..."

ـــ "غير هوا شنوا ؟؟؟" المحقق صارخا

ـــ "غير هو، كيغنعرفوا ليغايموت جاي؟ كلشي لي باين فلفيديو مات"!!

ـــ "مازال ماكملنا الفيديو!!" قاطعت الفقيه، التفت إلي كل من في الغرفة "... إيلا كملنا الفيديوا نقدروا نعرفوا لي قتل دوك الدراري ولا لا؟ " قفز المحقق بحماس شديد نحو المكتب وأكمل الفيديو.

شاب في ريعان شبابه، عار الصدر، لا يرتدي إلا سروالا قصيرا، فتح لنا الباب:

ـــ "شكون؟ مالنا على هاد الصداعات؟؟" يخرج، سأله المحقق إن كان ابن والي الأمن شحاح، أشار بالإيجاب فقفز عليه:

ـــ "بوليس، معاك محقق شعشاع!! نتا متهم باغتصاب وقتل أطفال في سن مبكر، أيضا متهم بالتهرب من العدالة لمدة أكثر من 5 سنوات" ذهل الشاب من المفاجأة الغير المنتظرة، خصوصا عندما أحس بذراعيه تلوى والأصفاد تكبلها.

أدخله إلى المنزل وأجلسه على كرسي وسط البهو، منتظرا المهاجم ليأتي:

ـــ "هاكا ..." يمد الفقيه للمحقق شيئا أبيض اللون، حدق فيه فوجده سيفا غير معدني " ... الروح لي راجعة كتكون روح ثايرة، أو الحل باش تحبسها هو الملحة، هاد سيف مصوب من الملحة الحية ديال الواليد اللّه يرحموا" لم يجبه المحقق بل أمسك

بتلابيبه في يده ثم ناداني الفقيه لأصحبه لمكان ما مجهول، أوصى المحقق بالصبر، ووعده بأننا سنحل المشكلة قبل أن يموت الشاب.

أخذنا سيارة أجرة وتوجهنا إلى حيث لا أدري، لكنه ما أن انطلق بثواني قليلة حتى أمرني الفقيه بالرجوع إلى شعشاع نظرا لعدم خبرته في المجال، أعطاني سيفا آخر، أوقفت السيارة وأسرعت نحو منزل الشاب :

ـــ "بلاتي!! نسيتي ..." كنت قد تركت محفظتي داخل سيارة الأجرة، احتفظ بها الفقيه لأنني كنت قد ابتعدت وولى.

ارتميت على الأريكة غارقا في نومي بعد أن وصلت، منتظرا أن يوقظني المحقق حينما يصل الوقت المناسب.

وصل الفقيه إلى وجهته، منزل عتيق وسط حي شعبي ضيق ومكتظ بالبنايات المتزاحمة، استمر في الطرق حتى سمع جوابا:

ـــ "آشكووون، أسير آلخدمة تالغدا صباح ..." استمر في الطرق حتى استسلمت ونهضت منفعلة، فتحت الباب "... قلنا ليك ..." فتحت فوهها من صدمة ما رأت، وجه أكل على ملامحه الدهر وشرب، حاولت التكلم لكنها لم تستطع فباغتها الفقيه:

ـــ "فطومة!! لاباس؟"...

الحلقة الحادية والعشرون: لقاء الشر الأعظم

ـــ "هرسوه، هرسوووه!! لا لا صافي!!" وأنا أغط في نوم عميق، أحلم بضربتي لإبريس، إذ بي أستيقظ على صوت مزعج يعلن عن عميلة كسر زجاج نوافذ البيت، استيقظت مفزوعا من الأمر، حاولت استيعاب ما يحيط بي، فإذا بي أسمع صراخ صراع بين اثنين :

ـــ "هيهيهي، واللّه ما عدك فين توصل هيهيهي...!!" انتبهت إلى المحقق شعشاع وهو واقف أمام أنس الذي كان مربوطا على كرسيه وعلامات الخوف بادية على محياه، كان شعشاع يتمايل حاملا القنينة باليد اليسرى والسيف في اليد اليمنى يلوح به، وما أن لمحت السيف، حتى رأيت الشبح أمام المحقق هو الآخر، قفزت من الأريكة مسرعا حاملا سيفي بيدي.

شعر متناسق وعينين سوداويتين كالليل، صدر خال من الشعر، ذراعين رقيقتين، نهاية جسده محددة بنهاية بطنه، ولا يظهر بأسفله سوى بقايا جلباب ممزق يغطي محل رجليه الغير موجودتين من الأساس، والعجيب أننا نستطيع رؤية ما وراءه كأنه شبه شفاف، هكذا وجدت نفسي في مواجهة الشبح رفقة المحقق شعشاع دفاعا على الضحية المستهدفة أنس.

ـــ "هههه، وليتو جوج، ماشي حشوما ههه، هآآع!!"

يصرخ الشبح محاولا إرعابنا، فينكسر الزجاج، أدركت أنه هو من تسبب في إيقاظي المرة الأولى، سألت شعشاع عما نحن فاعلين بهذه السيوف:

ـــ "هيهيهي، بعد لهيه، هيهيهي، خليني مني ليييه..."

يتكلم وهو غائب عن وعيه الطبيعي، يتلوى في الفراغ بسبب سكره ويحاول مهاجمة الشبح، يوجه له ضربة بالسيف فيندثر هذا الأخير كالغبار في الفضاء، يصرخ ثم يعود مرة أخرى ليتشكل من جديد ويهاجم الضحية الذي ينادينى لأنقذه، أخاف في أول الأمر لكني أسرع نحوه وألوح بسيفي الذي ما يكاد يمسه حتى يندثر مرة أخرى ويختفي ...

ـــ "برهوش يا خدم مقاد، يا دور.. " لا اعلم سبب سكره في لحظات حاسمة كهذه التي تواجهنا، "... ما تفرحش، غيير شوية و يبان، عرفتي ديك لكوزينة راهيا ... أسرعت إلى المطبخ لأنفذ طلب شعشاع فإذا بي أسمع صوت الانكسار من جديد، عدت عندها إلى البهو حيث تدور أحداث المواجهة لأجد التلفاز محطما إلى جانب مائدة مكونة من الزجاج، ما إن رفعت ناظري إلى الأعلى حتى لمحت كرسيا متجها نحو شعشاع لكنه يتجاوزه بفضل حركته المتكررة ويحاول مهاجمة الشبح مرة أخرى فيختفي و يظهر في مكان آخر، يلمس مسجلا، يرميه هو الآخر على المحقق فيتجاوزه، استمر الشبح في رمي شعشاع بكل ما هو موجود بالغرفة من أثاث وكان هذا الأخير يتفادى ضرباته بفضل مرونته الجسدية، هكذا أسرع نحو الضحية ثم أخذ الملح و...

ـــ "اييييه ياليام، ههه، شكون كان يقول غادين نرجعوا ليامنا"!!

ـــ "أنا إيلا رجعت راه عندي سبابي ..." يتناول كأس شاي "... أما نتيا، آش داك دخلي لهاد جهنم عاوتاني؟؟"

يتبادل الفقيه وفطومة أطراف الحديث محاولا إقناعها بإيقاف الشبح، فجأة بدأت بالبكاء وهي تحكي للفقيه:

ـــ "نتا عارف كثر من 30 عام وانا خدامة عند ابريس، أو كنت ما كانولدش..." تزيد في بكائها "... أو كونما هو ما كنتش نحط دوك الكتيكيتات بجوجهم"

ـــ "زعما أنتيق ابريس عونك مبقيتيش عاڭرة فابور؟؟"

ـــ "ما يهمش داكشي، دابا خدا ليا وليداتي آخويا لمختار، خداو ليا وليداتي" كانت تنتحب أكثر مما تبكي، دموعها تسيل بغزارة المطر في فصل الشتاء، أشفق عليها الفقيه، جرها إليه وسألها :

ـــ "ما تخافيش أختي فطومة، الماضي ليدوزنا واخا خايب، ولكن مكيعنيش أننا منكونوش فعوين بعضنا"

ـــ "آش أتعاون أسيدي لمختار، آش أتعاون أسي لمختار آش أتعاون، واخد ليا كبيداتي أخويا لمختآار، لكبدة ديالي خداها ليا، كون أخداني أنا أو خلاهم" لا تتوقف عن البكاء أبدا، حاول الفقيه معرفة سبب ذلك فتكلمت باكية: "بغا لكتاب..." حاولت أن تنقص من بكائها ثم استأنفت "... عارفك أسي لفقيه، ما قادرش تخلى على لكتاب و لكن وليداتي أخويا لمختار ..." نزلت عند رجليه و هي تحاول تقبيلها "... وليداتي اللّه يرحمك و يرحم كل من هو عزيز عليك أسي لمختار..." لم يتركها تكمل كلامها، ساعدها على النهوض ثم ذهب بها الى المغسل:

ـــ "غسلي غسلي وجهك أختي فطومة يكون خير إن شاء اللّه، إلى عرفتي كيتجيبي إبريس أو نحلوا لمشكل" أقنعها بعد ذلك بفك السحر عن الجثة لإنقاذنا من ورطتنا التي كنا نحاول فكها بأي طريقة ممكنة.

ـــ "هارا ديك لباكية هنايا، جري ..." يصرخ على شعشاع بصوته السكران ويأخذ إناء الملح، يمسكه فيصبه على الضحية من أعلى شعره وحتى أخمص قدميه، يستدير باتجاه الشبح بطريقته السكرانة يسخر منه "... هيهي، باغي تقرب ليييه، يالآه، قرب ليه هاهو قدامك هيهيهي"...

يحاول الشبح الاقتراب من الضحية لكن ما يكاد يلمسه حتى ينفجر، يتجمع مرة أخرى و يهاجمه هكذا مرة تانية وثالثة ورابعة حتى يمل من الهجوم المتكرر دون فائدة، فيصرخ صرخة مليئة بالحسرة و فقدان الأمل، صرخة قوتها فتحت النوافذ و كسرت الزجاج وأسقطت الخزانة حتى قلب المنزل رأسا على عقب، أدار الشبح وجهه إلى الوجه السكير محاولا الانتقام منه لما فعل، فطار بسرعة في اتجاهه جعلت منه حائرا بين الهروب و استعمال السيف و كما حمل ضحاياه، حمله نحو الحائط ثم ضربه بكل قوته فسقط مغمى عليه، التفت إلي، و كنت قريبا من النافذة، حاولت الهروب لشدة خوفي، لكنه لحق بي وحملني أيضا بين أصابعه و اتجه بي مسرعا نحو النافذة، بدأت أفكر فيما يجب فعله، هل أسمح له بإسقاطي، هل أحاول إنقاذ نفسي، كيف أستطيع إقناعه، خوفي الشديد من السقوط جعلني أتردد في إصدار أي ردة فعل، استسلمت و فعلا استسلمت له إنها المرة الثاني التي أقع

فيها بشرك أحد خدام ابريس، لكنها لم تكن كسابقتها إذ لم تكن بحوزتي وسيلة للدفاع من شأنها أن تجنبني شر الشبح مما جعله يخرجني من النافذة وما أن أوشك على إسقاطي حتى أغمضت عيناي منتظرا الموت...

ـــ " واآآآع!! واآع ...." سقطت وأحسست بالسقوط وأنا ما زلت أصرخ ".... واآآع"!!

ـــ "عدنان ..." كنت أسمع اسمي وأنا أصرخ، لم أهدأ بل استمررت في صياحي وأنا أسمع اسمي مرات ومرات حتى "... وا عدناآآآن" أحسست بصفعة على خذي فتحت عيناي:

ـــ "آه آه الفقيه، فيني أنا ..." كان الفقيه هو من ينادي، لم أعلم كيف وصلت إلى منزل فطومة، لكنه صفعني بقوة ثم صرخ في وجهي من جديد ليوقظني من كابوسي المفزع، استيقظت وتمنيت لو لم أستيقظ:

ـــ "هاها!! فقتي!!" سمعت صوتا ليس بالغريب عني، صوت خلق داخلي رعبا جعل من الصعب علي الالتفات، التفتت رغما عني فإذا بي ألمح ما لم يكن في الحسبان، ممسكا بالشبح بيده اليمنى، وبطفلي فطومة النائمين في الأخرى، نظرات ذكرتني بيوم اختطاف أبي، عملاق أحمر جعل لساني يتخشب وينشف من لعابه تماما ليلتصق بحلقي وانا غير قادر على تحريكه بتاتا:

ـــ "ش ... شكو ... شكوون ... ن ... نتا؟؟"

ـــ "نقدم ليك ..." يجيبني الفقيه "...ابريس.... "

الحلقة الثانية والعشرون: غدر ابريس

ـــ "نقدم ليك ... ابريس" قالها وصوته يظهر مدى الحقد الذي يكنه لابريس، كيف لا وقد كان ولازال سبب الشرور كلها في عهده وجدي، صدمت بدوري من مظهره المخيف وسط ظلمة غرفة الشوافة التي كانت تتلو شيئا فوق صحن بخور وهي تبكي.

وبكل فخر وتكبر كان يحدق، تظهر خلف شفاهه الضخمة السوداء والمتشقق ابتسامة خبث ودهاء، صرخت عليه:

ـــ "فيناهيا هآاينة!!! أو فينهوآآآا "...

ـــ "نسا هاينة أو سيجيلالي دابا أولدي، داكشي لي فيديه هو المهم"

قاطعني الفقيه، لم أكن أعرف ان كان يتكلم عن التوأمين أم عن الشبح فكان أول ما قمت به هو السؤال لأتلقى إجابة شريرة مليئة بالحقد والتجبر:

ـــ "هاهاها، هذا؟" أجابني ابريس وهو يشير إلى الشبح "... آآاعع..." ضغط عليه بأصابعه فبدأت النيران تحيط به وهو يصرخ ويتألم بين ذراعي ابريس، يحاول الهروب وإنقاذ نفسه لكن صراخه يتلاشى شيئا فشيئا بين النيران المحيطة به، حتى أصبح رمادا طار مع الهواء، أحسست بالخوف الشديد لكنه أكمل كأن شيئا لم يحدث "... أو هادو .." وهو يشير إلى الطفلين "...واحد فيهوم غايكون عندوا نفس المصير ديال لول إلاما ..." قاطعته السيدة وقفزت تحت

رجليه وهي تبكي وتنوح تتوسل إليه أن يطلق سراح ابنيها ويمسك بها هي بدلا عنهما، لكنه ألقى بها نحونا، أمسكها الفقيه وساعدها على النهوض وهو يعدها بأنه سيحل المشكلة وأن الطفلين سيسلمان من هذه المحنة، حينئذ سألته عما يريده إبريس:

ـــ "لكتاب ..." أجابني ابريس مرة أخرى بدم بارد "... تبارك اللّه نتا والفقيه ما بقيتو تنعسوا ... فلول عشتار قلنا هانيا ... عندهم تجربة معاها ... ولكن باش .." يقفز اتجاهي ويحملني بين أصابعه ويصرخ "... نصيفط شي واحد لي عمرك لا نتا لا لفقيه شفتوه ..." يقربني إلى بين عينيه التي تشتعل بلهيب الغضب ويصرخ "... أو تغلبوه تاهوا!! مايمكنش نتقبلها" يتبع هذه الكلمات زئيرا حادا ويحملني ليرميني دون أن يرف له جفن نحو الحائط، اصطدم به ويتابع هو كلامه، يضغط على أصابعه ليخفض صوته مرة أخرى "إيوا علاش مانحرقوش هداك لكتاب، أو ديك الساعة، عرقوا سخفوا جريوا ضاربوا..." نهضت من مكان سقوطي "... إيلا قتلتوهم، غايرجعوا أو يعودوا يرجعوا أو يزيدوا يرجعوا "... هاهاها"

كنت ضائعا أجهل ما يجب علي فعله، أشار علي الفقيه باقتراح، أخذت محفظتي من عنده وأنا أتألم، أدركت أنه لا مهرب لنا من شر ابريس، حتى لو امتنعنا عن إعطائه الكتاب فإنه سيقتلني أنا والفقيه والسيدة، لذا فضلت ألا أجازف بحياتنا وقررت تسليمه الكتاب، فتحت المحفظة لمحت شيئا فابتسمت ونظرت إليه وسألته:

ـــ "باش ضمنت غادي طلق الدراري إيلا عطيتك الكتاب ..." يقاطعني الفقيه متحسرا:

ـــ "غير عطيه، ماعدنا ماندیروا ..." كان الحزن ظاهرا عليه بوضوح، أخذت الكتاب من المحفظة وأنا مبتسم ووضعته في لفافة، تقدمت نحوه، حينئذ أحسست بذراع تمسكني، التفت فوجدت الفقيه :

ـــ "طلق لينا واحد من الدراري بعدا..." توجه إلى ابريس بكلامه، نظر اليه ابريس نظرة سخرية ورمى الطفل الأول "مطرش" نحو الفقيه، يحمله وينقله إلى مكان آمن بعيد عن ابريس في زاوية الحائط، يشير إلي أن أتقدم، تقدمت وأنا خائف منه لكن لابد من التضحية، وصلت إلى موضعه، مددت له اللفافة وتراجعت بضع خطوات منتظرا أن يعطيني الابن الثاني "مصعب" لكن...

"ولدييي!! ولدي!! مصعآ... آآآب" بكل سادية وبرودة دم، تاركا أفواهنا مفتوحة من هول المنظر، لالة فطومة تنتحب من بشاعة ما رأت، ما أن تأكد أن اللفافة مملوءة، ابتسم ابتسامة غادرة، بكل برودة أدار بأصابعه عنق مصعب، صدمت جدا من المنظر، لكني لا حول ولا قوة لي ولا أستطيع فعل شيء لتغيير الوضع، أشفقت جدا على لالة فطومة التي أسرعت إلى جثة طفلها وحضنته بين ذراعيها تبكي فراقه:

ـــ "آآآآآآآآ ... عععع!!!!!"

لم أحس بنفسي حتى ركضت في اتجاهه محاولا مهاجمته بقبضتي، لكن ما كدت أصل عنده حتى رماني بضربة قدم وصرخ في اتجاهي صرخته المرعبة مما جعلني أتراجع من كثرة الهلع، ثم تحول إلى شعلة نارية بوجه شيطاني وانطلق مسرعا باتجاهي، غطيت وجهي بذراعي، لكني بالرغم من ذلك أحسست بلهيب حرارته على مقربة مني.

هدأ الوضع، الفقيه لا زال تحت تأثير الصدمة من جهة، مطرش نائم من جهة أخرى، خوف يتملكني مما حدث، والشوافة تحمل مصعب بين يديها وتئن وتبكي عليه، حنيت رأسي من شدة البؤس الذي أحسست به في تلك الأثناء ثم بدأت الصراخ باكيا ومتحسرا:

ـــ "علاآآش؟؟ علاآآآش ؟؟؟..." أتكلم وعبراتي تخنقني "دري صغير آعباد اللّه ... دري صغير ... اشنوا ذنبوا!!" تقدم الفقيه في اتجاهي وبدأ يلاعب خصلات شعري وعينيه مغرورقتين:

ـــ "ما يبقاش فيك لحال أولدي، مايبقاش فيك لحال ..." يتكلم بحزن شديد "... ماشفتي غالقليل ... آآح!!" حاول أن يجعلني أنهض لنشد رحالنا "... نوض، نوض أولدي، لينا اللّه ..." نهضت رغما عني، أخذت محفظتي بين ذراعي ثم بدأت في التقدم نحو الباب ببطء والدموع منهمرة كالمطر، تبعني الفقيه حاملا حقيبة جدي :

ـــ "اللّه يعوضك محبتوا صبر ..." التفت إلى فطومة وألقى لها بعض الكلمات للتخفيف عنها، ثم ولينا إلى وجهة مجهولة نبحث عن فندق ما لنرتاح قليلا في انتظار مهمة جديدة.

خندق دائري، توسطه إناء نحاسي يحتوي نارا كأنها سقر، وحوش يحيطون بها من كل زاوية يصرخون ويهللون باسم ابريس الذي يتوسطهم ويشرب نخب الانتصار، نادى على الغول ليحضر أبي الذي امتثل أمامه بيده المكسورة، يسأله عما يريد مرة أخرى، يرمي له اللفافة التي سلمته، يأخذها ابي بين يديه، يزيلها عن الكتاب، يفتحه ثم يباشر تصفحه بهدوء واطمئنان لم يتوقعهما ابريس

ـــ "كتصحابني أنوحل مع برهوش قد فخضي، ولا شارف ديال لخلا ..." يتكلم بكل ثقة وأبي يقلب صفحات الدفتر وهو مصدوم "... هاهو لكتاب بين يديا أو من ليوما ..."

ـــ "من ليوما غنعرف بلي مقامك مايليقش معاك هاهاها ..." كان أبي قد وصل إلى الصفحة الأخيرة، رفع عينيه ساخرا من ابريس "... عمري تصورت برهوش قد فخضك يديرها بيك هههه..." يرمي الكتاب على الأرض ويهم راجعا إلى زنزاته فخورا بي، انتفض ابريس، حمل الكتاب وفتحه فوجده فارغا تماما، وصل إلى الصفحة الأخيرة ثم:

{72747/2010/1507/00}علم أنني أعطيته الكتاب الخطأ فصرخ حتى زلزلت الأرض ثم تحول إلى لهيب و توجه نحو إحدى البوابات و خرج...

الحلقة الثالثة وعشرون: رفيق جديد

ـــ "حكمت المحكمة حضوريا على المتهم أنس شحاح، بالتهم التالية: اغتصاب أطفال وقتلهم ثم التهرب من العدالة لأكثر من 5 سنوات، وذلك بالمؤبد "

ـــ "حكمت المحكمة حضوريا على المتهم محمد شحاح بالتهم التالية: التغطية على المتهم واستغلال السلطة لمصالح خاصة ثم خيانة المسؤولية بعشر سنوات سجنا نافذا "

ـــ "هيهيهيه، نسيتوا بلي شحال ما كانت السرعة ديال الحق، يشدك يشدك هيهيهيه ...." يغادر شعشاع غرفة المحكمة بعد أن نال كل مجرم نصيبه الذي يستحقه.

ـــ"هههه، مازال فيا جوع، أو نعاس واع ههه" بعد نوم عميق أستيقظ على صوت أم كلثوم، سألت الفقيه إن كانت قضية جديدة ما هي سبب استيقاظه فأجاب بالنفي استفسرته عن إمكانية عودتنا إلى مدينة الرباط أو على الأقل مغادرة المدينة، وافق رغم جهله بالسبب لذا استقلنا أول حافلة متجهة إلى الرباط لأخذ استراحة وجيزة قبل ظهور قضية ما، جلسنا كعادتنا في الكراسي الخلفية، ثم أخذت الكتاب الحقيقي من المحفظة وأعطيته للفقيه، أخذه وفتحه:

ـــ "هههه، هادشي لاش باغي ترحل، كيدرتي ليها هههه؟؟"

ـــ "كي والو كان عندي دفتار بحالو، بغا كتاب عطيتوا ليه هههههههه"

ـــ "وا تبارك اللّه عليك!! ... كتفكرني فجدك اللّه يرحموا هههه!!" وصل إلى الصفحة الثالثة وكانت فارغة لدى سألته:

ـــ "علاش مبانتش صورة الشبح بحال الوحوش اللي قبل منو"

ـــ "الأشباح أولدي ماشي وحوش، ما هي غير أرواح ثايرة، فاش كتغلبها كطلع عند مولاها" ما إن أكمل كلامه حتى سمعت أصوات سيارات شرطة تحيط بالمحطة:

ـــ "ياكما كين باس، ياكما مزال علينا؟" سألته فأجابني:

ـــ "ألا أولدي، صافي شعشاع ليكان مبرزطنا راه قتانع .." لكن كان ما خشيته، أحاطت الشرطة بالحافلة من كل جهة وولج الكثير من رجال الشرطة إلى الحافلة باحثين عني والفقيه، حاولت فهم ما يقع لكنهم وعلى غفلة مني أخذوني من ذراعي رفقة الفقيه كما حملوا معهم محفظة جدي ثم أخذونا بسياراتهم متجهين إلى حيث لا نعلم...

وصل ابريس إلى هدفه، ولج بيت فطومة كعادته دون استئذان، ولجه والغضب يتطاير من عينيه، أفزعها لما دخل بصراخه إلى البيت، توجه نحوها وهو في أشد نوبات غضبه يلومها على الخدعة التي انطلت عليه بسهولة، لكنها أنكرت علمها بتفاصيل الموضوع، حملها بين يديه ورفعها على الحائط وهو يصرخ في وجهها:

ـــ "ضحكتوا عليآآآ!! ضحكتوا عليا!!! !!، فين هو لكتاب، فين مشاووا جآووبيينيي !!" تتكلم وهي ترتجف من الخوف بين يديه "... عافاك عطيني تيساع ... ياك ديتي ولدي لول .... وا صافي ... عافاك !!" تبدأ بالبكاء وتترجاه لكنه كان مصرا على معرفة مكاني أنا والفقيه، لكن المسكينة لم تكن تعرف شيئا عن مكاننا:

ـــ "ماما، ماما ..." طفل خرج من غرفة نومه مناديا أمه، يخرج مطرش ابن الشوافة على أصوات ابريس بدافع الفضول، وكان ما لم يتوقعه، لمح سيد الشر وهو ينظر إليه بعينين شريرتين حاملا أمه على الحائط:

ـــ"مطرش، ولدي، سير تنعس، رجع نعس أولدي ماتخافش!!" حاولت إقناعه لولوج الغرفة لكنه أصر على معرفة ما يحدث، لدى فاجأه الرد من ابريس:

ـــ "باغي تعرف شنو كاين، هاد مك، غدراتني، أو أنا دابا ..." بسادية "... غانحيها!!" جعلت طريقة ابريس المخيفة مطرش يبكي وينادي على أمه، لكنه تجاهله وحمل فطومة أعلى وأعلى، سألها عما تريده كعقاب، لم يستطع الطفل الصبر، صرخ محاولا مهاجمة ابريس:

ـــ "لا مطرش، لا !!!" لم ينصت إليها مطرش بل ركض نحو ابريس رغم صغر سنه وضربه برجله، التفت إليه ابريس ثم رماه وحذر فطومة من مهاجمته مرة أخرى، منحها بضع ثواني لتدخل ابنها إلى غرفته لكنها ما إن وضعته بسريره حتى توجه مسرعا بكل سذاجة نحو ابريس غير مدرك للخطر الذي قد يلحقه، يراه ابريس

قادما نحوه فيحمل أظافره إلى أعلى ويهاجم بها مطرش بكل قوته.

هدوء، صراخ، يتبعه أنين، أم تحضن ابنها المتبقي الوحيد، تنفث أنفاسها الأخيرة، تحاول التأكد من سلامة ابنها، لكنها تصدم، أظافر ابريس غرست داخل صدره، يمكن رؤية أطرافه وراء ظهر مطرش، أخرج ابريس أصابعه، قام بلعق الدماء الموجودة عليها، سقطت فطومة وابنها ميتين على أرضية منزلها، تغزوهما تغور عمودية دموية، نظر إليهما ابريس نظرة حقد، رمى المرأة برجليه فظهر الطفل البريء أسفلها، نظر إليه متحسرا ثم قال:

ـــ "زعما نتا ليكان عندي فيك أمال، بففف!!" ثم غادر بنفس طريقته تاركا جثتين هامدتين في منزل للا فطومة.

ـــ "مختار، حبيبي، ارآ شي عناقا" وصلنا إلى مركز الشرطة وما أن نزلنا من سيارة الشرطة حتى وجدنا المحقق المجنون ينتظرنا، صدمنا برؤيته مرة ثالثة، لكنه أسرع نحو الفقيه وعانقه وهو فرح كثيرا برؤيتنا، عانقني أنا الآخر، سأله الفقيه عن مراده فأمرنا أن نلحق به، ركبنا سيارته، وضع الحقيبة في مؤخرة السيارة، تقدم بها قليلا :

ـــ" آآآح، مزال راسي ضرني من لبارح ... لمهم ... سمح ليا ولدي لبارح نعست راه كنت كاو ... نص فداكشي ماعاقلش عليه هيهيهي ..." التفت عند المختار "... أو شكرا حيت كونما نتوما مانحلوش لموشكيل ... أو صافي هيهي"

ـــ "هادشي لاش جبتينا؟؟ أو داير حالة أو مضيع لينا فلوس لكار !!"
سأله الفقيه غير راض على تصرف المحقق لكنه نفى كلام الفقيه قائلا:

"بغيت نكمل معاكم فهاد الرحلة"...

الحلقة الرابعة وعشرون: حياة بعد الموت

ـــ "سيدي ابريس ... !!" هدوء تام داخل الوكر، كهف ابريس على غير عادته فارغ تماما من أي خدم أو وحش، كل في غرفته، كل قابع في غرفته ينتظر أي أمر من سيده ابريس، لكن جلهم يعرف أنه لا يقوى على مواجهتهم، خصوصا بعد الهزيمة التي تلقاها من عندي، طفل بحجم فخذه الايسر يخدعه، وسط هذا الهدوء نطق يده اليمنى، نطق مساعده و ساعده الايمن، نطق بجملة شهيرة لشخصية من الرواية التي استحوذت على عقله: " ... استراتيجية مربحة، وجب أن تكون مليئة بالتضحيات أحيانا ..." ثم أتبعها ليحطم هذا الاكتئاب الذي أصاب الكهف: "... كنظن خاصنا نبدلوا الاستراتجية لي خدامين عليها"

ـــ "عادي، هاها، راك عارف خدمتك ..." يتكلم ويخفي خيبة أمله تحت الثقة التي تبدو في كلامه "... جمع ليبا الجيوش ديالك أو ديك الساعة إيلا كانت ساهلة يغلبوا واحد بوحدو، هاها ..." يصمت ويرفع عينيه بكل شر وسادية "... نزيدوا شوية فالجهد هاهاهاها"

ـــ "نعام أسيدي ... راطون، كارابو!!" يمتثل له جنديين يظهر عليهما الإخلاص لليد اليمنى لإبريس "... راطون جمع لينا جيوشك"!!

ـــ "نعام أسيدي !!" يتحول إلى فأرة كبيرة ثم يخرج من إحدى الأبواب

ـــ "أو نتا كارابو!! تعال هنا" يمسكه ويقترب من أذنه ويهمس له بكلمات معينة، يسمع كلمات الطاعة والإجلال، ثم يرى خادمه المخلص يتحول إلى بومة ويغادر من بوابة مختلفة عن سابقه...

"اه، آآآه، آآاع ... "

أنس شحاح، ابن والي الأمن بمدينة الدار البيضاء و مغتصب الأطفال، استيقظ من حلمه الذي أصبح يراوده كلما غفا فوق سريره في غرفة السجن التي تم أخذه لها، الغرفة التي سيقضي فيها باقي حياته، حلم بطله المحقق الذي كان سببا في محنته، المحقق الذي يبحث على العدالة بكل أثمنتها، المحقق شعشاع، صرخته جلبت حارس السجن الليلي ليسأله عما به و يأمره بالنوم، يستلقي مرة أخرى و هو يفكر في سبب محنته هاته، يفكر في مصيبته، يسمع صخبا خفيفا من نافذته، يلتفت ليرى خيالا يرعبه، ينهض فيلمح بومة فوق نافذته، يلوح بيديه لتغادر، يغلق النافذة بعد أن تلتفت إليه البومة، تنظر إليه بعينيها البراقتين كأنها تتوعده بشيء ما، لا يأبه بها بل يرجع إلى سريره متوعدا بالانتقام من المحقق السكير، المحقق شعشاع...

ـــ "هههيهي زعما مامحتاجينيش معاكم؟!!..." يأخذ رشفة من قنينته الجيبية في السيارة "... أنا بعدا عجبني دكشي"!!

ـــ "إينا داكشي أولدي؟" يسأله الفقيه

ـــ "إبريس، الدوران، كل مرة قضية جديدة أو طريقة جديدة هيهيهي، حياتكم عامرة عامرة ..." يتكلم بكل حماس وفرح "... وأنا هادشي كيعجبني هيهي"

حدق بي الفقيه مطولا كأنه يتساءل ان كنا قد نقبل برفيق ثالث معنا، كيف ستكون حياتنا معه؟ لم أفكر أبدا في الأمر لذا سألته:

ـــ "أو خدمتك؟ كيغادير فيها عمي ؟؟" أجابني بنظرته الذابلة:

ـــ "أنا هنا كنجي نضيع وقت ... ولا العكس ... آه قول كنعمر وقتي ..." لم نفهم إجابته لذا أكمل: "... ناري باين ليا غايكون مصيبة الحال معاكم، أنا محقق خاص، أو لبوليس ميقدروش يعيشوا بلا بيا ..." بكل فخر يتكلم "... بسيف أفضل محقق في المغرب"!!

غصت في نوبة تفكير عميقة عن مدى أحقيته بثقتنا، حقيقة ذكاؤه يمكن أن يساعدنا كثيرا في قضايانا، ويمكن أن يجعلنا نحلها في أوقات أقصر عكس ما كنا عليه من قبل، حاولت أن أسأله لكن الفقيه باذره :

ـــ "أو هانتا دخلتي ولدي، آشمن إضافة تقدر تزيدها علينا ؟؟"

ـــ "هاهاها، أشمن إضافة هاها ..." أجابه شعشاع ساخرا "... وليتي تشرط أسيدي هاها" صمت الفقيه ونظر إليه نظرة طويلة فباغته الشرطي "أووف ...." رشف من قنينته "...واخا أسيدي، أول حاجة كنظن كتلقاو مشاكل بزاف باش أنكم دخلوا لمواقع الجريمة ..." أخذ ما في جيبه وأراه لنا، شارة ذهبية تتوسطها نجمة خماسية كتب فوقها الشرطة وتحتها كلمة بلغة أخرى.

سألته عن علاقة الشارة بما قاله فأكد لي أنها تكون بحوزة المحققين وتفيد في دخول ساحات الجرائم ومراكز الأموات، كما تعطيهم الحق في إعطاء الأوامر والمطالبة بالملفات والدلائل إلخ، هنا تغيرت نظرات الفقيه إلى نظرات الطمع التي عهدتها في مقالبه لكن المحقق بادره :

ـــ "بالمختار، بلا طمع ... أنا غادي معاكم حيت متأكد غادي نلقا راسي فدكشي ديالكم، أما ما عندي مـــاندير بصداع الراس" صدمني بقراءته لملامح الفقيه في برهة، نظرت إليه بنظرات ملأها الحماس والتشوق إلى تجربة مغامرة بجانبه خصوصا بعد تذكري للقضية السابقة، وهذا ما كان، وافق الفقيه قائلا:

ـــ "إيوا أسيدي نتوكلوا على اللّه، مرحبا بيك"...

ـــ "تنتمنى تعجبك الرفقة ديالنا !!" خاطبته فرحا ومتشوقا كثيرا، لمستقبل مغامرتنا، هكذا طلب منا أن نذهب إلى مطعم ما لتناول وجبة الغذاء ريثما ينهي بعض الإجراءات.

وصلنا إلى المطعم، طلبنا ما نريد، ثم جلسنا فسألته :

ـــ "شنو بان ليك فشعشاع؟" نظر إلى متعجبا فأكملت "... زعما واش لايق للخدمة ولا لا؟ "

ـــ "ماعرت أولدي، مانكذبش عليك!!..." بدأ في الرد وهو يأكل "الوقت ليفيها حنا أولدي، ماشي ديالي وديالك!! ... أنا ممكن غدا ولا بعدوا نفنا من هاد الدنيا، كبرت أو وقتي ولى، أو نتا مازال صغير

أو خاصك تعلم، أو ماتقدش على هادشي وحدك، إيلا هو عجبوا هادشي، مرحبا بيه، ماخاسرين والو"!!

ـــ "آاه كيما قلتي بالعكس را مزيان، حتا إيلا جرات شي حاجة تلقاه فاهم داكشي أو يقدر هو يكمل على دكشي ديالك ..." قاطعته مؤكدا كلامه وأكملت "أو هاد القضية ديال يدخلنا مسرح الجرائم تاهيا نافعة "

ـــ "اللّه يرضي عليك، كول دابا دغيا خالينا نمشيوا "

تناولنا طعامنا بسرعة، ثم ولينا نحو مركز الشرطة متمنين أن يكون شعشاع قد انتهى.

هدوء تام، حرارة مفرطة نظرا للقصدير الموجود على السقف كل من دق باب البيت يحسب أهله على سفر، سيدة لم تسنح لها فرصة دفن ابنها الأول، فقدت الثاني دون ذنب، و مع فقدانه فقدت حياتها معه، جثتين ملقاتين على الأرضية تغزوهما الثقاب على صدريهما، طفل بريء، جماله لم يختف حتى بعد وفاته، ابتسامته كانت توحي على أنه على قيد الحياة، عيناه الذابلتان كان بهما شيء يظهر على انه يستعد إلى الاستيقاظ من نومه ... فجأة ... صوت شهقة واسترجاع أنفاس فقدها لفترة ليست بالطويلة، عينان يتوهجان باللون الأحمر، ينهض من مكانه، جروحه اضمحلت من جسده، ينهض مطرش ابن فطومة بكل هدوء، ينفض على نفسه الغبار ثم يغادر المنزل متوجها نحو اللامكان.

في تلك الأثناء كنا قد أنهينا طعامنا وتوجهنا نحو مركز الشرطة، وجدنا شعشاع ينتظرنا، وما أن رآنا، حتى نادى:

ـــ "على سلامتكم ... يالاه راه تابعانا قضية جديدة ... أو الطريق طويلة بسلامتها .... هيهيه"

آاه، بعد أن مرت أكثر من خمس سنوات على ما اقترفت يداي، بعد أن ظننت أن الملف قد طوي وأني قد نجوت بما فعلت إلى الأبد ... ها أنا اليوم ... ها أنا اليوم أفقد حريتي، هيبتي، منصبي ... ها أنا اليوم أفقد دفء سريري ورفاهية العيش بفيلا والدي ... وعلى يد من؟ على يد سكير وقح، غبي، السكير ابن السكير شعشاع ... لكن ... أقسم بشر الأقسام أني سأنتقم ... سأنتقم منه أشر انتقام ... لن أقف مكتوف الأيدي ... لن أغفر له ... فأنا الآن، لست كما عهدني الجميع، فقد صرت أقوى وأخبث بكثير ... هاهاها ... يلزمني فقط الصبر ... صبر قليل يا أنس وينفذ سيدك وعده ويجلبه لي مذلولا حقيرا ... سيجلبه يا أنس ... وينفذ سيدي وعده لك ويجلبه لك ... فاصطبر هيهيهيهي ... فأنت الآن لست وحدك، بل تحت رعاية سيدك ... سيدك "كارابو"

انتظرونا في الجزء الثاني

زوروا صفحتنا على

@chro_dystopia

The Chronicles of Dystopia

مطبعة وراقة بلال ش.م.م

IMPRIMERIE PAPETERIE BILAL S.A.R.L

N°100 Av. Sidi slimane Rue Al Madina Al mounawara
Hay Al Amal, Narjiss FES

Tél/Fax: 05 35 61 86 03 - GSM: 06 61 68 70 55

Imp.bilal@gmail.com - www.imp-bilal.com

صلاح الدين نفتاحي

آاع، بعد أن مرت أكثر من خمس سنوات على ما اقترفت يداي، بعد أن ظننت أن الملف قد طوي وأني قد نجوت بما فعلت إلى الأبد ... ها أنا اليوم ... ها أنا اليوم أفقد حريتي، هيبتي، منصبي ... ها أنا اليوم أفقد دفء سريري ورفاهية العيش بفيلا والدي ... وعلى يد من؟ على يد سكير وقح، غبي، السكير ابن السكير شعشاع ... لكن ... أقسم بشر الأقسام أني سأنتقم ... سأنتقم منه أشر ... انتقام ... لن أقف مكتوف الأيدي ... لن أغفر له فأنا الآن، لست كما عهدني الجميع، فقد صرت أقوى وأخبث بكثير ... هاهاها ... يلزمني فقط الصبر ... صبر قليل يا أنس وينفذ سيدك وعده ويجلبه لي مذلولا حقيرا ... سيجلبه يا أنس ... وينفذ سيدي وعده لك ويجلبه لك ... فاصطبر هيهيهيهي ... فأنت الآن لست وحدك، بل تحت رعاية سيدك ... سيدك كارابو

انتظرونا في الجزء الثاني

الطبعة الأولى : 2018